سريبرينيتسا

الجريمة والعقاب

٢٧ نيسان - ١٤ أيار ٢٠٠٦

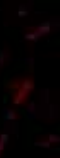

للتوثيق والأبحاث

Documentation & Research

سريبرينيتسا

الجريمة والعقاب

٢٧ نيسان - ١٤ أيار ٢٠٠٦

للتوثيق والأبحاث
Documentation & Research

حقوق النصوص التالية:
مسالمة الشر، كونستانتي جيبرت
يوم في حياة درازين إبرديموفيتش، سلافينكا دراكوليتش
حقوق الإنسان على محك المجاز: مصطلحات مطلقة وسياسات نسبية، حازم صاغية
محفوظة لمؤسسة هينرخ بل ولمؤلفيها

HEINRICH BÖLL FOUNDATION
مكتب الشرق الأوسط

كان تنظيم هذه السلسلة من النشاطات بالتعاون مع مؤسسة هينرخ بل ــ مكتب الشرق الأوسط

يصدر هذا الكتيب برعاية مادية من مؤسسة هينرخ بل، على أن الآراء التي يتضمنها لا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر المؤسسة.

سريبرينيتسا...
ملاذ الفظاعة الآمن

اقتضى سريبرينيتسا، «الملاذ الآمن» بموجب قرار مجلس الأمن الرقم ٨١٩ بتاريخ ١٦ نيسان ١٩٩٣ أن تشهد، بعد نحو عامين على هذا القرار، إفناء الآلاف من الأشخاص، معظمهم من الرجال والأحداث، في مقتلة منظمة وأن تشهد الترحيل القسري لعشرات الآلاف من النساء والأطفال والشيوخ على مرأى ومسمع من قوات حفظ سلام ترفع علم الأمم المتحدة. ــ اقتضى سريبرينيتسا ذلك لتخرج من كونها مجرد مدينة صغيرة تقع إلى الشمال الشرقي من البوسنة والهرسك ولتصبح عنواناً من عناوين الفظاعات التي تتالت خلال العقود الأخيرة ووقف العالم حيالها مكتوف اليدين.

كان لعجز العالم، قل المجتمع الدولي، عن الحيلولة دون وقوع هذه المقتلة التي أشرت إلى أن الفظاعة ليست حكراً على منطقة أو جماعة أو ثقافة ــ بما في ذلك أوروبا التي أقسمت غداة الحرب العالمية الثانية، مع اكتشافها هول ارتكابات النظام النازي، بأن «هيهات ذلك» ــ كان لعجزه ولما أورثته إياه سريبرينيتسا من تبكيت ضمير أن وسعا الصدارة لأسئلة يبدو بعضها، أحياناً، نافلاً (من قبيل: «كيف تتسلسل أحداث ينتهي الأمر بتبين أنها مقدمات مقتلة أو فصولها») في حين يبدو البعض الآخر، يبدو فقط، وكأنه لا يعني عامة الناس وإنما فئة (متخصصة) قليلة (من قبيل: «هل تقوم الأمم المتحدة بحماية حقوق الإنسان وهل تملك الأدوات الكفيلة بذلك؟»).

لعل المعظم من الناس، في أربعة أرجاء الأرض، اكتشفوا فظاعة ما جرى في سريبرينيتسا، أول ما اكتشفوها، من خلال الصور. ولعل ما يبقى في ذاكرة كل منا، وما يحمله أينما حل، إذ يؤتى على ذكر سريبرينيتسا صورة ما. لعل واقع الحال هذا هو ما أدى بمؤسسة هينرخ بل إلى احتضان مشروع «سريبرينيتسا ــ ذاكرة للمستقبل» وهو معرض صور وثائقية بعدسات عشرة مصورين، خمسة منهم من أبناء يوغوسلافيا السابقة والخمسة

الآخرون من جنسيات شتى. قوام المعرض ٣٣ صورة توثق مشاهد من أيام سريبرينيتسا وناسها، الناجين منهم والضحايا.

كان تنظيم هذا المعرض لأول مرة في العاصمة البلجيكية بروكسل حزيران ٢٠٠٥. بعد العاصمة البلجيكية سافر المعرض إلى بلغراد وبرلين وواشنطن وستراسبورغ (فرنسا) وسراييفو. واكبت المعرض في كل المراحل التي حل فيها نقاشات تاريخية سياسية في المسائل التي يفتحها استذكار سريبرينيتسا. في بيروت أيضاً تواكب المعرض ندوة تحت عنوان «سريبرينيتسا ــ الجريمة والعقاب».

بالتعاون بين أمم للتوثيق والأبحاث وبين مؤسسة هينرخ بل ــ مكتب الشرق الأوسط تستضيف بيروت، لمدة أسبوعين، هذا المعرض وعلى غرار ما كان في محطاته السابقة، تواكبه، هنا، ندوة تحت عنوان «سريبرينيتسا ــ الجريمة والعقاب» وعرض لفيلم صرخة من القبر.

أمم للتوثيق والأبحاث

مؤسسة هينرخ بل ــ مكتب الشرق الأوسط

أمم للتوثيق والأبحاث
آتي الأيام الماضية...

في آب من العام ٢٠٠٢ تقدم عدد من ناشطي أمم بطلب إلى وزارة الداخلية اللبنانية لـ «الحصول» على «علم وخبر» يضفي على المجموعة ونشاطاتها صفة جمعية غير ربحية وإذ تأخرت الموافقة على الطلب كان اللجوء إلى «الحيلة» القانونية وإنشاء «شركة مدنية» غير ربحية. في شباط من العام ٢٠٠٥ كان إفراج وزارة الداخلية عن «العلم والخبر».

كان إنشاء الشركة المدنية، (غير الربحية) ، أمم للتوثيق والأبحاث، في بيروت، عام ٢٠٠٤، استجابة لـ «استحقاق» محل خلاف بين اللبنانيين، مداره على لزوم التوقف عند فصول العنف الأهلي التي تخللت التاريخ اللبناني ومساءلتها، وجدواه، أو عدم لزومه وانتفاء جدواه.

فمن يوم أن رُفعت رسمياً آخر الحروب اللبنانية، مطالع التسعينيات، من القرن الماضي، قسمت ذاكرة هذه الحروب اللبنانيين فريقين اثنين: واحداً ينادي بالنسيان و«طي الملفات»، ومعها «صفحة الماضي»، وآخر لا يرى في النسيان القسري السبيلَ إلى مستقبل آمن، بل إلى مزيد من العنف، الظاهر والمستتر.

على النسيان (المؤقت) بالتراضي، وعلى رفع «طي الملفات» إلى مرتبة الدين المدني بحجة أنهما السبيل إلى إخراج اللبنانيين من دوامة العنف، والضامن دون السقوط مجدداً في هذه الدوامة تأسس النظام اللبناني الذي قام مع وضع حد للحرب بموجب اتفاق الطائف والذي يتبارى اللبنانيون اليوم ــ بمن فيهم بعض من تولوا مقاليده، وتبوأوا أعلى مناصبه، وحاموا عنه ــ يتبارون، براءة منه، في استنزال اللعنات عليه بصفته نظام «وصاية» أمني بغيض...

عملياً، وجد هذا النسيان صيغته القانونية في قانون العفو الذي صوّت عليه مجلس النواب اللبناني في آذار من العام ١٩٩١، وترجمته العملية في إيكال سياسة اللبنانيين إلى أمراء الحرب، وفي «تبييض» العديد من أفراد الميليشيات بـ «دمجهم» في أجهزة الدولة العسكرية والمدنية. وما هي أن حل وثاق «الوصاية» عن اليد اللبنانية بعض الشيء، حتى ارتفعت أيدي ممثلي الشعب، تحت قبة البرلمان، مصوتة، باسم استكمالاً لـ «المصالحات الوطنية وتعزيز السلم الأهلي»، على قانوني عفو، حسب المرء أن يطالع أسبابهما الموجبة ليكون فكرة عما كانت عليه حقاً السنوات الممتدة بين ١٩٩١ و٢٠٠٥. مرة جديدة ظن اللبنانيون أن «العفو» كفيل بطي ملف سنوات «عهد الوصاية» (التسمية المخففة لسنوات الاحتلال البعثي الصريح) وأن العفو يسد مسد المراجعة والمحاسبة.

المقصود بالطبع قانونا العفو عن سمير جعجع وعن المتهمين بالمشاركة في «أحداث الضنية ومجدل عنجر» اللذان صوت عليهما مجلس النواب اللبناني المنتخب في ٢٠٠٥ خلال أول جلسة له (١٨ تموز ٢٠٠٥).

غداة عفو ١٩٩١ كما غداة عفو ٢٠٠٥ لم يخل جمهور اللبنانيين من «مَرَقَة» أعياهم، ببساطة، أن يفهموا كيف يستقيم العفو عن متهمين تتضافر الحجج على ارتكابهم جرائم لا يبعد أن ينزل بعضها منزلة جرائم الحرب فأقاموا يرددون، في البرية اللبنانية، أنه ما من نسيان، مهما بدا راسخاً وعميقاً، قادر حقاً على طي صفحات الماضي، وأن تدبر هذا الماضي على معنى الاستحضار والمراجعة الصريحة، مهما آلم هذا الاستحضار وهذه المراجعة، هما الأدنى إلى ردّ اللبنانيين عن تحكيم العنف لحل خلافاتهم.

وإذ لم يسع النظام اللبناني الذي قام مع نهاية الحرب الرسمية إلا أن يتخذ النسيان عقيدة، فموقف اللبنانيين من ذاكرة حروبهم لم تفتأ تراوح مكانها من الالتباس، ومصداقه ما يقع المرء عليه في كتاب السنوات، بله الأشهر والأسابيع، من اتهامات، يرافقها التلويح بـ «فتح» هذا «الملف» أو ذاك، يسوقها السياسيون اللبنانيون بحق بعضهم البعض ــ اتهامات تحيل إلى هذا الفصل أو ذاك من فصول الحروب اللبنانية وارتكاباتها.
وإن يتفق في الأغلب أن تُطوى هذه الاتهامات، وأن يعتبر التبارز بها بعضاً من اللعبة السياسية، فهذا التلعّب بذاكرة اللبنانيين، وهذا الإزراء بها إلى مرتبة دنيا من مراتب السجال السياسي، مصداقان، بدورهما، على مدى حضور هذه الذاكرة في وعي اللبنانيين، بل قل هذه الذاكرات باعتبار أن كل طرف من أطراف الحرب في لبنان اصطنع لنفسه ذاكرة تروي له، وتحاجج عنه، سيرة فصول العنف التي ولغ فيها. وإذ تتعدد هذه الذاكرات بتعدد الجماعات فهي تشترك في إحالتها العمدية إلى تصورات «بسيطة» و«مبسطة» عن الجماعة اللبنانية وعن تاريخ الحرب وجغرافيتها، تصورات تقسم لبنان دوماً إلى فسطاطين، (ماديين و/أو معنويين) لا ثالث لهما: قبل/بعد، الضحايا والجلادين، المسلمين والمسيحيين، بيروت الشرقية وبيروت الغربية، إلى آخره. في المختصر، تصورات هي من نتائج الحرب بمقدار ما تصلح مقدمات لمشاريع حروب.

كذلك لا يحتاج المتتبع الشأنَ اللبناني إلى جهد كبير ليتبين أن الذاكرة اللبنانية، بعد خمسة عشر عاماً من النهاية الرسمية للحرب، ما تزال، في مواضع كثيرة من متنها ومن هوامشها، ذاكرةً حربية، ذاكرة تستلهم الحرب ورموزها، ولا تتورع أحياناً عن محاكاتها، بل قل: ذاكرةُ هدنة لا ذاكرة سلام.

من ثم السؤال: طالما أن النسيان، العفوي أو القسري، لم يستولِ على هذه الذاكرة (الافتراضية)، وطالما أنها قابلة للحشد والاستنفار، فكيف يمكن الرهان على النسيان لضمان السلم الأهلي؟
ومن ثم الافتراض أن تعهد اللبنانيين ذاكرتهم (ذاكراتهم)، وأخذهم إياها

أم للتوثيق والأبحاث تشكر كل ذي يد بيضاء على تنظيم هذه السلسلة من النشاطات وعلى صناعة هذا الكتيب. كما تخص بالشكر ميديكو إنترناشينول على دعمها المؤسساتي.

على عواتقهم، واعتبارها محل أخذ ورد وسجال، أحوطُ من افتعال نسيانها بقانون يُصوّت عليه أو بالتراضي، وأوصلُ لربما إلى «المصالحة» المنشودة بينهم.

بين يدي هذا التشخيص، ومن باب أن المساهمة في ورشة الذاكرة اللبنانية حق مواطني مكتسب لا ينسخ بقانون ولا يُعلّق بقرار أو بمرسوم، باشرت أمم، أفراداً ومجموعة، من قبل أن تسمت بهذا الاسم، ومن قبل أن اتخذت لها صفة قانونية، نشاطاتها المتوزعة، في عناوينها العريضة، على التوثيق والبحث من جهة، وعلى تنظيم اللقاءات المفتوحة من جهة أخرى.

في هذا السياق العام كانت نشاطات أمم التي حاولت على الدوام أن تجمع بين هموم من «هنا» وهموم من «هناك» ورائدها في ذلك ما تشترك مع آخرين في تشخيصه من ضرورة عاجلة إلى حثّ اللبنانيين على «التواضع» في النظر إلى نزاعاتهم وحروبهم بتعريضها، وتعريضهم، لتجارب جماعات وأقوام لا ما يجمع، للوهلة الأولى، بينها وبينهم، لعل اللبنانيين إن راضوا أنفسهم على «التواضع» في النظر إلى أنفسهم ونزاعاتهم وحروبهم، أن يروضوها على سلوكات غير التي يستسهلون في سياسة أمورهم.

لماذا سـريبرينيتسا في بيروت؟

في هذا السياق، رب سائل: لماذا سريبرينيتسا في بيروت؟ وضوح السؤال، رغم ما يستبطنه من إحالات إلى أوجه شبه مفترضة، يُسَوّل للمرء أن يجيب عليه بصيغته وبمفرداته، أي بشيء من قبيل: لم لا؟ وبأن يمضي في سبيله تاركاً وراءه سؤالين معلقين لا سؤالاً واحداً فقط. ولكن بمقدار ما يغري ذاك السؤال بالمرور دونه، ولو من باب الاعتراض على ما يسكت عنه من إحالات، بمقدار ما تغري هذه الإحالات بأن يُرفَع عنها حجاب التورية وبأن تُصاغ تساؤلات وتخمينات. وما يُخمن، ولو أنه أقرب إلى اليقين، أن تحت الـ «لماذا...» سؤال مسهب لعله أن يكون من نحو: «هل لاستذكار سريبرينيتسا وللوقوف على مقتلتها، هنا الآن، قيمة مضافة ليست لها في أمكنة ومواضع أخرى؟» من نافل القول أن «هنا الآن»، ولو أنها، بالمناسبة، لبنان، تنطبق بدورها على أمكنة ومواضع أخرى في ذاكرتها الحية وفي تاريخها القريب ما يغمز من قناة «البلقنة» و«اللبننة» على معنى تقوض البنى الجامعة، بالقوة القاهرة أو بالإرادة الحرة، وما يغمز من قناة سريبرينيتسا على معنى خروج العنف عن ضابط العقل ــ ولو كان هذا العقل قاتلاً شريراً.

يكابر المرء إن زعم بأنه لا قيمة مضافة لسريبرينيتسا في بيروت، أو في سواها من البلاد التي لم تفرغ بعد من دفن قتلاها، أو قل التي تؤجل دفن قتلاها تأجيلها الحداد عليهم، ولكنه حتماً يبالغ إن ادعى بأن هذه القيمة تضيف من تلقائها شيئاً. وأسوأ من أن تضيف أن تُنقص... فمن شيمة الفظاعات أن تُغري بالمقارنة بينها، وبحمل بعضها على محمل البعض الآخر حتى لتبدو كأنها مكتوبة في لوح محفوظ لا يفعل البشر، في ارتكابهم إياها، سوى نسخه، كل على طريقته وبما تحت يده من أسباب القتل.

نسجل هذا التحفظ، على عتبة هذا الكتيب، لأنه ليس لنشاط قوامه معرض صور وندوة وعرض سينمائي أن يدعي أكثر مما هو؛ حسبه، بالنظر إلى المدينة التي تستقبله لا بصرف النظر عن ذلك، أن يقربنا من السؤال: لماذا سريبرينيتسا؟ ــ سريبرينيتسا اسم الجنس لا اسم العلم ــ لا أن يبعدنا عنه.

خزانة أمم

تضع أمم بتصرف المهتمين خزانتها من الوثائق (كتب، جرائد، مطبوعات) التي تؤرخ للحروب اللبنانية. وبطبيعة الحال فإن أمم تعمل بشكل متصل على إغناء هذه الخزانة.

إلى الخزانة الورقية، تسعى أمم أيضاً إلى جمع ما يتيسر من شهادات أشخاص شاركوا من قريب أو بعيد في الحروب اللبنانية، وإلى توثيق هذه الشهادات على حوامل سمعية، وإن أمكن على حوامل سمعية بصرية.

وإذ تضع أمم بتصرف المهتمين خزانتها، فهي تعمل على فتح هذه الخزانة، جزئياً، عن بعد، وذلك من طريق نشر قوائم موجوداتها على موقعها الإلكتروني: www.umam-dr.org

ديوان الذاكرة اللبنانية

تحت عنوان «ديوان الذاكرة اللبنانية» تتعاون أمم للتوثيق والأبحاث ودار الجديد على نشر سلسلة من الكتب التي تعنى بالشأن اللبناني عنفاً أهلياً وذاكرة حروب. صدر من هذه السلسلة حتى الآن:

- أنا الضحية والجلاد أنا ــ سيرة جوزيف سعادة
- بلاد الله الضيقة ــ «الضاحية» أهلاً وحزباً

وبالتعاون مع أمم للإنتاج تسعى أمم إلى تنفيذ عدد من الوثائق السمعية البصرية مدارها على الموضوعين إياهما.

حبل الكلام

توسيعاً لدائرة المهتمين بهذه الشؤون وتوفيراً لفرص التواصل بين هؤلاء، تنظم أمم للتوثيق والأبحاث دورياً، في مقرها في حارة حريك، نشاطات ثقافية وفنية (عروض أفلام، معارض، ندوات) من شأنها المساهمة في إبقاء حبل الكلام موصولاً.

في حل المقاتل وأنسابها!

سريبرينيتسا في كرونولوجيتين

لعل وعسى...

بين يدي فظيعة من مثل مقتلة سريبرينيتسا، أو سواها، لا يملك المرء، في سعيه إلى إنزالها منزلاً قابلاً للعقل ومحلاً من إعراب الفهم ــ لا يملك نفسه من التساؤل، بسذاجة: إلى كم لا بد له من الارتفاع في النسب للاطمئنان إلى أن الفظيعة موضوع تدبره، دخلت، بما يُسَبِّبُ لها من أسباب ويُعَلِّلُ من علل، تحت حد من حدود العقل والمفهومية.

على افتراض أن تداعي النظام الشيوعي وتقوّض يوغوسلافيا لا يلبيان الغرض فهل يلبيه مثلاً ما كان في ١٩١٨، مع نهاية الحرب الأولى، من تهاوي الإمبراطورية النمساوية الهنغارية ومن ضم البوسنة والهرسك إلى المملكة الصربية الكرواتية السلوفينية الناشئة؟ أو هل يلبيه الارتفاع أكثر إلى عشيات الحرب تلك، إلى ١٩٠٨، يوم ضمت الإمبراطورية النمساوية الهنغارية البوسنة والهرسك؟ أو حتى هل يكفي الارتفاع إلى مؤتمر برلين ١٨٧٨ الذي أعقب الحرب بين الروسيا وبين الدولة العثمانية والذي أخرجت خلاله البوسنة والهرسك من عهدة الأخيرة وأدخلت في عهدة الإمبراطورية النمساوية الهنغارية درءاً للمطامع الروسية ــ هل يكفي هذا ليقول المرء «وجدتها»... هذه المقتلة لهذا الفراش؟

الأرجح الأرجح، بل اليقين اليقين أن لا تفسير من عقل مؤيد بالأسباب والعلل أو من تاريخ مؤيد بالوقائع والأحداث يجلو، بالكامل، الفظاعة التي يرتكبها بشر بحق بشر، كائناً من كان الجلاد ومن كان الضحية، من ثم فهذه العجالة لا تدعي في حال من الأحوال التأريخ لمقتلة سريبرينيتسا... حسبها أن تنصب معالم على الطريق التي أدت في نهاية الأمر إلى هذه المقتلة وكان يمكن لرما ألا تؤدي...

على وجه التفصيل

كانون الثاني ١٩٩٣
القائد البوسني المسلم ناصر أوريتش ينجح في مضاعفة حجم المساحة التي تسيطر عليها قواته في شرق البوسنة.

٧ كانون الثاني ١٩٩٣
القوات البوسنية المسلمة تهاجم قرية كرافيكا وترتكب مجازر بحق السكان المحليين.

آذار ١٩٩٣
جيش صرب البوسنة، بمؤازرة القوات الصربية، يستعيد كل المناطق التي سبق للمسلمين احتلالها ويهدد باحتلال سربرينيتسا.
حتى تاريخه بلغ عدد المدنيين اللائذين بسربرينيتسا حوالى الستين ألفاً.

١٢ آذار ١٩٩٣
متوجساً من سقوط سربرينيتسا، يخترق الجنرال الفرنسي فيليب موريون، قائد قوات الأمم المتحدة في البوسنة، دونما العودة إلى مرؤوسيه، الخطوط الصربية فيبلغ المدينة ويشهد بأم العين الكابوس الذي ترزح تحته ويعلن وضع اللاجئين فيها تحت حماية الأمم المتحدة.

١٦ نيسان ١٩٩٣
إذ توشك القوات الصربية على احتلال سربرينيتسا للمرة الثانية، يصدر مجلس الأمن قراره رقم ٨١٩ القاضي بتحويلها، كما عدداً من المناطق المحيطة بها، ملاذات آمنة في عهدة الأمم المتحدة.

كانون الثاني ١٩٩٥
كتيبة هولندية تصل الى سربرينيتسا وتتمركز فيها.

نيسان ١٩٩٥
ناصر أوريتش يغادر سربرينيتسا بطلب من الفعاليات المحلية مخلفاً وراءه جنوداً سيئي التسليح مضعضعي المعنويات.

أيار ١٩٩٥
القوات الصربية تحتجز ٣٥٠ جندياً من قوة حفظ السلام الهولندية في سراييفو رداً على ضربات قوات حلف شمال الأطلسي (NATO).

على وجه الإجمال

١٩١٨
على بعض من أنقاض الأمبراطورية النمساوية/الهنغارية التي تهاوت مع نهاية الحرب العالمية الأولى، تنشأ «مملكة الصرب والكروات والسلوفين»، علماً أن صربيا والجبل الأسود، كانا يشكلان دولة مستقلة، بخلاف كرواتيا وسلوفينيا والبوسنة والهرسك التي كانت أجزاء من الأمبراطورية النمساوية/الهنغارية.

١٩٤٥
المملكة تتحول إلى جمهورية شيوعية بقيادة تيتو تحت اسم «جمهورية يوغوسلافيا الفدرالية الشعبية»، تألفت الجمهورية الناشئة من ست ولايات (صربيا، كرواتيا، البوسنة والهرسك، مقدونيا، سلوفينيا، الجبل الأسود) ومن منطقتين (كوسوفو وفويفودينا).

١٩٨٠
وفاة تيتو تؤشر إلى خروج الصراعات الإثنية والقومية من القمقم الذي نجح طوال سنوات في حبسها داخله.

حزيران ١٩٩١
كرواتيا وسلوفينيا تعلنان استقلالهما، بخلاف سلوفينيا التي لم يقتضها الكثير للاستقلال بسبب من ديموغرافيتها المتجانسة إلى حد بعيد، ينتهي الأمر بكرواتيا، بعد أربع سنوات من المد والجزر، إلى ترحيل الأقلية الصربية (١٢٪) المستوطنة فيها عن أراضيها.

كانون الأول ١٩٩٢
الأقلية الصربية في البوسنة والهرسك تنظم استفتاء غير رسمي لمعارضة الانفصال عن يوغوسلافيا في حين يعلن صرب البوسنة عن قيام جمهورية مستقلة عن باقي البوسنة.

كانون الثاني ١٩٩٢
مقدونيا تعلن استقلالها.

نيسان ١٩٩٢
البوسنة والهرسك تعلن استقلالها، يشار إلى أن هذه الولاية كانت

٢٢ أيار ١٩٩٥

الجنرال برتراند جانفييه، قائد قوات الأمم المتحدة في البوسنة، يدعو مجلس الأمن إلى أحد اثنين: حماية الملاذ الآمن أو سحب قوات حفظ السلام وتوجيه ضربات جوية. مجلس الأمن يطلب منه الاستمرار في مهمته كالمعهود.

حزيران ١٩٩٥

منذ نيسان تواصلت جهود الصرب لإحكام قبضتهم على المدينة وانتهى الأمر بهم أن قطعوا على قوافل الإمداد طريق الملاذ الآمن.

٥ تموز ١٩٩٥

المناطق الجنوبية من سريبرينيتسا تتعرض للقصف.

٨ تموز ١٩٩٥

الصرب يخترقون سريبرينيتسا ويأخذون بدعوة سكانها إلى تسليم أسلحتهم والرحيل عنها، في زحمة الفوضى التي أعقبت ذلك يلقي أحد المسلمين بقنبلة يدوية على قوات حفظ السلام ويقتل واحداً منهم.

٩ تموز ١٩٩٥

عمليات القصف تتوالى وكذلك نزوح اللاجئين تحت وطأة تقدم القوات الصربية. المدافعون المسلمون يهجرون آخر مواقعهم. الصرب يحتجزون ثلاثين عسكرياً هولندياً من قوات حفظ السلام.

١٠ تموز ١٩٩٥

للمرة الثالثة يطلب الكولونيل كارمنز، قائد القوة المتمركزة في سريبرينيتسا مؤازرة جوية من الأمم المتحدة. الصرب يقصفون مواقع تابعة للقوات الهولندية. الجنرال جانفييه، قائد قوات الأمم المتحدة يرفض تلبية طلب الكولونيل كارمنز. الصرب يسيطرون على التلال المشرفة على المدينة. كارمنز يجدد طلب المؤازرة الجوية. هذه المرة يوافق الجنرال جانفييه. الصرب يوقفون هجومهم. الجنرال جانفييه يؤجل الضربات الجوية حتى صباح اليوم التالي. كارمنز يُشعر القيادات المسلمة بتأجيل الضربات الجوية إلى صباح اليوم التالي.

تعتبر الأكثر تعدداً بين ولايات يوغوسلافيا السابقة حيث إنها كانت تؤوي ٤٣٪ من المسلمين و٣١٪ من الصرب و١٧٪ من الكروات.

في هذا الشهر أيضاً تعلن صربيا والجبل الأسود تشكيل «جمهورية يوغوسلافيا الفيدرالية» بقيادة سلوبودان ميلوسوفيتش.

المواجهات بين أطراف الصراع تندلع وتتعمم. في كل المناطق، سواء ذات الأكثرية الصربية أو المسلمة أو الكرواتية، تسجل عمليات تطهير ذات طابع عرقي.

١٩٩٣

حدة التوتر تتصاعد ويندلع القتال بين المسلمين والكروات.

تحطم المواجهات خلال هذا العام أرقاماً قياسية في العنف وفي الالتباس. ففي الهرسك يتحالف المسلمون والصرب ضد الكرواتيين. وفي شمال غرب البوسنة تتقاتل الميليشيات المسلمة، وفي وسط البوسنة يتحالف الصرب والكرواتيون في قتال المسلمين.

الأمم المتحدة تسمي عدداً من المدن البوسنية، من عدادها سراييفو وسريبرينيتسا، ملاذات آمنة للمسلمين البوسنيين وتقر، بموجب القرار ٨٢٧، إنشاء محكمة دولية لـ «مقاضاة الأشخاص المسؤولين عن الانتهاكات الجسيمة للقانون الإنساني الدولي» بغية «استعادة السلم وصونه».

١٩٩٥

قوات صرب البوسنة بقيادة راتكو ملاديتش تجتاح ملاذ سريبرينيتسا الآمن رغم تمركز قوات هولندية تابعة للأمم المتحدة فيه وتقتل الآلاف من الذكور البوسنيين.

تحت جنح الضربات الجوية التي قامت بها قوات الأطلسي يستعيد المسلمون والكروات المبادرة ويوسعون من انتشارهم طاردين في توسعهم الآلاف من الصرب المدنيين.

اتفاق دايتون يقسم البوسنة بين المسلمين والكروات من جهة والصرب من جهة أخرى. قوات دولية تنتشر في الإقليم.

١٩٩٦

المحكمة الدولية تبدأ أعمالها في لاهاي وتصدر أولى أحكامها بحق درازين إيريمويفيتش، وهو كرواتي قاتل في صفوف الصرب وشارك في مجزرة سريبرينيتسا.

١١ تموز ١٩٩٥

٩:٠٠ صباحاً ــ الكولونيل كارمنز يتلقى من قيادته إشعاراً بأن طلب المؤازرة الجوية الذي تقدم به قد رفض لعيب في الشكل.

١٠:٣٠ ــ الكولونيل كارمنز يوافي الجنرال جانفييه بطلب جديد. ولكن، لما كانت طائرات حلف الأطلسي المنطلقة من إحدى القواعد الإيطالية تخلق منذ الساعة السادسة صباحاً فلقد نفد وقودها ووجب عليها العودة إلى قواعدها.

١١:٠٠ ــ تردّدُ الجنرال جانفييه في شأن النوايا الصربية يدعوه إلى التريث مجدداً في إجازة الضربات الجوية. نحو عشرين ألف لاجئ من النساء والأطفال والمرضى يحتمون بمعسكر للقوات الهولندية في بوتوتشاري على ثلاثة أميال من المدينة.

١٢:٠٥ ــ الجنرال جانفييه يوافق أخيراً على ضربة جوية بعد أربع ساعات من تلقيه الطلب.

١٤:٤٠ ــ طائرتا أف ١٦ هولنديتان تغيران على مواقع صربية. الصرب يهددون بقتل الهولنديين المحتجزين لديهم وبقصف اللاجئين. العمليات الجوية تُعلّق.

١٦:١٥ - رفقة طاقم من المصورين، الجنرال راتكو ملاديتش يدخل سريبرينيتسا ويعلن سيطرة الصرب البوسنيين عليها. خمسة آلاف لاجئ يحتمون في معسكر للقوات الهولندية فيما يحتمي نحو عشرين ألفاً آخرين في المصانع والأحراج.

١٦:٤٥ - الجنود الصرب يصلون إلى بوتوتشاري.

٢٠:٣٠ - الجنرال ملاديتش يستدعي الكولونيل كارمنز الى اجتماع بينهما. كارمنز يطالب بتوفير الغذاء والدواء لسكان المدينة. الجنرال ملاديتش يبلغ الكولونيل كارمنز إنذاراً بوجوب قيام المسلمين بتسليم أسلحتهم.

منتصف الليل ــ آخر المدافعين المسلمين يخلون المدينة ما تبقى فيها من أسلحة ويسيرون بنحو خمسة عشر ألف رجل في رحلة طويلة شاقة عبر السهول والوديان وحقول الألغام لبلوغ المناطق المسلمة المجاورة. الجنرالان الصربيان ملاديتش وكرستيتش يجتمعان بوفد من مواطني المدينة. ملاديتش يطالب هؤلاء مجدداً بضرورة تسليم ما لديهم من سلاح. ملاديتش: "ليس في وسع الله مساعدتكم. أما أنا فبوسعي".

١٢ تموز ١٩٩٥

باصات مخصصة لنقل النساء والأطفال تصل إلى المدينة فيما كان الصرب يعزلون الذكور الذين تتراوح أعمارهم بين ١٢ و ٧٧ تحت عنوان استجوابهم للوقوف منهم على هويات مجرمي الحرب من المسلمين. خلال الثلاثين الساعة التالية تم إجلاء حوالى ثلاثة وعشرين ألف امرأة وطفل. الصرب يشطون بالمدفعية المناطق الجبلية المحيطة لسريبرينيتسا فيقتلون المئات من الرجال المحاولين الهرب.

١٣ تموز ١٩٩٥

اعتقال مئات آخرين من الرجال خلال محاولاتهم النجاة بأنفسهم.

١٠:٠٠ ــ يرصد احتجاز ٤٠٠ منهم في مخزن في براتوناش.

ظهراً - قوات حفظ السلام تنزل عند مطالبة الصرب وتطرد من معسكرها خمسة آلاف لاجئ لم يلبث العديدون منهم أن لاقوا حتفهم على يد القوات الصربية.

١٦:٠٠ - اعتقال مئات الرجال المنهكين خلال محاولتهم الهرب إلى الجبال. قتل المئات داخل مخزن في قرية كرافيتشا وأكثر من ألف في سريبرينيتسا وضواحيها. إطلاق سراح عدد من أفراد قوات حفظ السلام بعد احتجاز على أيدي الصرب دام ٢٤ ساعة.

١٦ تموز ١٩٩٥

بعد خمسة أيام من الهرب عبر الجبال، طليعة الفارين من العنف الصربي تصل إلى أقرب المناطق الإسلامية المجاورة. المفاوضات بين الأمم المتحدة والصرب البوسنيين تثمر السماح للهولنديين بالرحيل عن سريبرينيتسا مخلفين ما بحوزتهم من سلاح ومؤن. تقارير أولية عن وقوع «مجازر» في سريبرينيتسا. رئيس بعثة الأمم المتحدة في البوسنة ياسوشي آكاشي يفشل في تقديم إثباتات على وقوع هذه المجازر. الكولونيل كارمنز يصف ما جرى بـ «العملية العسكرية الفائقة التنظيم» غير أنه لا يأتي على ذكر ما تخللها من أعمال وحشية. عمليات القتل تتتابع لأسابيع في المناطق الجبلية المحيطة بسريبرينيتسا. بين ١٢ تموز و ١٦ تموز ١٩٩٥، جيش صرب البوسنة يسجل على نفسه قتل آلاف من الرجال والأولاد المسلمين.

كان تجميع مادة هاتين الكرونولوجيتين وإعدادها بعناية أم للتوثيق والأبحاث.

مسالمة الشر

بقلم كونستانتي جيبرت

ترجمة هيثم الأمين وسعيد الجن

كنت رافضاً فكرة ذهابنا إلى هناك. كان الغضب بادياً على الوجوه، على وجوه الجميع بمن فيهم مستقبلونا في توزلا. في الخارج، في المدينة/المخيم التي نبتت على مدرج مطار مهجور تحت مرمى النيران الصربية، لم أشك في أن آلاف النساء الناجيات لن يخلون من أن ينفسن عن وترهن، وأن المراسل الصحافي لن يبعد أن يجد نفسه، بينهن، مهدداً جسدياً. لم يكن مازوفيبكي من رأيي. كانت حجته أنه انتدب للقيام بهذه المهمة وأن واجبه يقتضي منه أن يستمع إلى الشهود العيان على جريمة هي الأفظع في عداد الجرائم التي ارتكبت خلال هذه الحرب تحت طائلة أن يعد عزوفه عن ذلك من باب التقصير الفاضح والتهاون الموصوف.

بمواكبة عدد من رجال الشرطة السويديين الجسام، راحت سيارتنا تجتاز صفوف الخيم المنصوبة حديثاً، وبانفعال، رحت، في خاطري، أقارن بين بياض هذه الخيم وبين سواد الأيام التي مر بها هؤلاء اللاجئون، في حين كان الناس من حولنا يحدقون في العلم الأزرق، علم الأمم المتحدة، المرفرف فوق سيارتنا. ما إن ترجلنا من السيارة وسط المخيم حتى انتشر الشرط السويديون حولنا على شكل مروحة درءاً لأي خطر قد يتهددنا فلم تزد مناورتهم طين المشهد إلا بلة. كان الغرض من زيارتنا جمع المعلومات عن انتهاكات حقوق الإنسان التي تعرض لها هؤلاء الناس بغية رفع تقرير إلى المنظمة الدولية التي كان يفترض بها، أصلاً، أن تتخذ من التدابير ما يحميهم. كان من المنطقي أن نخشى الجلادين الذين ارتكبت أيديهم ما ارتكبت. أما أن نجدنا في تحسب من الضحايا وخشية، فأمر مدعاة نظر...

طوال السنوات الثلاث التي أمضاها هؤلاء الناجون يتنقلون بين منازل الجحيم، كان العلم الأزرق الذي يرفرف على سيارتنا مرادفاً للعجز، لعبارات المجاملة، لصرير الأسنان الذي لم ينفع ساعة كان المعتدون يدمرون القرية تلو القرية، والبيت تلو البيت، ويقتلون النفس تلو النفس. ولعل آخر عهد هؤلاء الناس بعلم الأمم المتحدة كان يوم رأوه مرفرفاً على ناقلة جند تنسحب مسرعة من سريبرينيتسا قبيل الهجوم

ناديوس مازوفيبكي: (مواليد بولندا ١٩٢٧). كاتب وصحافي. أحد قادة حركة التضامن وأول رئيس وزراء غير شيوعي في أوروبا بعد الحرب العالمية الثانية (١٩٨٩). في العام ١٩٩٢ انتخب مازوفيبكي مقرراً للجنة حقوق الإنسان التبعة للأمم المتحدة وممثلاً لها في يوغوسلافيا السابقة. غداة مقتلة سريبرينيتسا استقال من منصبه هذا احتجاجاً على سياسات الدول الغربية التي أحجمت عن المسارعة إلى التدخل الفعال في البوسنة.

بول لووي، ١٩٩٥

الصربي. وتدهس في طريق انسحابها، من فرط سرعتها. بوسنياً كان يحاول، هو الآخر، النجاة بنفسه؛ أو لعلهم رأوه آخر مرة في بوتوتشاري حيث أسلم جنود الأمم المتحدة آلاف المدنيين اللائذين بمعسكرهم إلى الصرب. أو لربما كان ذلك على الطريق إلى توزلا حين كان الصرب ينقلون على متن الشاحنات والحافلات نساء سريبرينيتسا إلى الخطوط الأمامية من الجبهة البوسنية، وكانوا يعبرون بالقرب من آليات للأمم المتحدة صادرها الصرب، وبات يعتليها جنود صرب بثياب الأمم المتحدة ــ جنود صرب عائدون لتوهم من كمين نصبوه للرجال الهاربين من سريبرينيتسا عبر الغابات. هذا ما كانه علم الأمم المتحدة الأزرق في عيون هؤلاء: العلم الشريك في المقتلة... تحت هذا العلم جئنا نستروي هؤلاء الناس شهاداتهم.

لحين، ساد الصمت، ثم انطلق الصفير. صرخ أحدهم: «ليسوا من الأمم المتحدة. إنه مازوفييكي»، من إذاك لم نحتج بعد لحماية السويديين.

مساءً، عدنا إلى توزلا بعد أن قضينا الساعات في جمع الروايات ــ روايات باتت موثقة إلى حد لا جدوى من التذكير بها ولو أنها، لا بأس من التذكير، روايات، تتخطى، لفرط بشاعة ما ترويه، حدود التصديق حتى لدى أصحاب التجربة من المراقبين. لقد سمعت بعض الصحافيين يزعمون أن البوسنيين يتعمدون المبالغة في رواياتهم، تدارك الإهمال الذي كانت تستقبل به التقارير اليومية عن المقتلة المستحرة. بخلاف هؤلاء لم يكن مازوفييكي، على ما يبدو، في شك مما يسمع. ليس فقط لأن أذنه المرهفة، بعد ثلاث سنوات من الاستماع إلى روايات الناجين، دربت على الفصل بين الغث والثمين من تفاصيلها المروعة، ولكن أيضاً لأن الأمر عنده لم يكن كما قال نيفيل تشامبرلين يوماً، معلقاً على أحداث تشيكوسلوفاكيا عام ١٩٣٨: «إنما هو نزاع في بلد ناء بين أقوام لا نعرف عنهم شيئاً!». لقد شهد مازوفييكي في حداثته الهجوم النازي على بولونيا، وما خلفه من مجازر. والأرجح عندي أن الأمم المتحدة لم تنتدبه إلى البوسنة، أول الأمر، بصفته خبيراً بشؤونها، بل لأن تجارب حداثته علمته كيف يصدق ما يستبعد تصديقه لفظاعته.

كان ذلك يوم أن قرّر مازوفييكي الاستقالة من مهمته كمقرر لحقوق الإنسان منتدب من قبل الأمم المتحدة في يوغوسلافيا السابقة. قال لي: «لم يعد باستطاعتي الادعاء بأنني أحمي حقوق الإنسان تحت هذه الراية». وإذ تفحص نظرات الناس في المخيم إلى ذلك العلم الأزرق، أردف قائلاً: «بعد سريبرينيتسا، أشعر، كبولوني، بأنني اليوم أقل أماناً في أوروبا مما كنت عليه قبلها».

وتلك لعمري الطامة الكبرى. فالمقتلة التي راح ضحيتها ثمانية آلاف رجل وفتى، على فظاعتها، أهون من إصرار الدول الديموقراطية على التعامي عن الجريمة. كانت سريبرينيتسا تتمتع بضمانات أمنية لم تحظ بها بولونيا؛ فكل ما نالته بولونيا، بعد ست سنوات على استقلالها عن الإمبراطورية السوفياتية، لم يتعدّ تعهد حلف الأطلسي بإسداء «النصح» إلى بولونيا في حال تعرض أمنها للتهديد. أما سريبرينيتسا فكانت بحماية الأمم المتحدة وكان من واجب حلف الأطلسي أن يتدخل، بصورة شبه آلية، لردع أي اعتداء عليها. غير أنه لم يلبث أن تبين أن تدخل الأطلسي لا يتم إلا بناء على طلب يستوفي جميع الشروط الشكلية. ضف إلى ذلك، بطبيعة الحال، توفر الإرادة السياسية. من ثم فلا ما يدهش أن يكون ياسوشي آكاشي، المبعوث الخاص للأمم المتحدة، قد صرح بعد سقوط سريبرينيتسا دون أن يرف له جفن: «إننا ندين سقوط سريبرينيتسا، وبالجملة، ندين أيضاً، سقوط جيبا المقبل». اكتفت الأمم المتحدة برثاء جيبا قبل سقوطها في حين كانت المدينة المحاصرة تبذل وسعها لفك الحصار...

لم تنته القصة عند هذا الحد. فارتكاب الصرب، بعد شهر على سريبرينيتسا، جريمة وحشية أخرى، استتبع رداً صارماً من طرف الأمم المتحدة. ولو أن هذا الرد جاء قبل ثلاث سنوات، لكان كفيلاً بحقن دماء مائتي ألف شخص، بمن فيهم الرجال والفتيان الذين قتلوا في سريبرينيتسا. كذلك، فإن تدخل حلف الأطلسي عام ١٩٩٩، في كوسوفو، قد منع تحول التطهير العرقي إلى مقتلة جماعية إضافية. سوف تدخل كلمات ياسوشي آكاشي التاريخ جنباً إلى جنب مع كلمات نيفيل تشامبرلين؛ أو قل لا بد لهذه الكلمات أن تدخل التاريخ ولكنها للأسف لن يعلّمها إلا التلامذة. على تشامبرلين رد يومها تشرتشل بالقول: «أنتم بالخيار بين الحرب وبين العار؛ إنكم تختارون العار ولكن الحرب لن تتأخر». كذلك حال الحرب التي حاول آكاشي أن يتجنبها... لم تلبث أن وقعت إلا أنها، لحسن حظ من لم يصدقوا بوقوعها، بقيت بعيدة فلم يتوجب على الذين اختاروا العار أن يدفعوا ثمن خيارهم ولم تنتقش البوسنة في ضمير الإنسانية شعاراً على حرمة السماح بتكرار ما جرى تحت عنوان: «هيهات ذلك».

ما الداعية إلى هذا الشعار ثانية، ولو لمرة وحيدة؟ هل من ضرورة لذلك حقاً؟ هيهات تعني هيهات: عهد لا ينكث ولا يجري عليه التقادم. لا حاجة بالمرء أن ينجو شخصياً من مقتلة لكي يستقبل وقوع مقاتل أخرى بالتصديق، لا بالإنكار والتشكيك ــ تصديق لا يمكن نسبته فقط إلى سن مازوفييكي وتجربته. لم يكن مازوفييكي الوحيد، صاحب التجربة الشخصية المريرة، بين الساعين إلى البحث عن حل للصراع البوسني. هل غالى مازوفييكي حقاً، على ما زعم الزاعمون، في ما بدر منه من رد فعل على ما كانت أوروبا قد أقسمت على الحيلولة، إلى الأبد، دون وقوعه؟ أم إن ما شهدته البوسنة لم يعدُ أن يكون حرباً أهلية يزر المشاركون فيها، جميعاً، ولو بدرجات متفاوتة، وزرها؟ أو أن يكون مأساة إنسانية تكفي جرعات كبيرة من مساعدات الأمم المتحدة والصليب الأحمر للتخفيف من وقعها؟ إن تكن الإجابة بنعم، فلا معدى من القول بأن ما جرى في سريبرينيتسا لا يزيد على أن يكون جنحة أو تجاوزاً ليس إلا، أو مشكلة محلية منتهى ما تستحقه التنديد بها، لا الإدانة الأخلاقية على نحو ما ذهب إليه مازوفييكي الذي لم يكتف بإدانة مرتكبي الجريمة

وحسب، بل تجاوزهم إلى الذين كانوا يحاولون تهدئة الأمور أيضاً، ساعين إلى دفع الأطراف المتنازعة إلى الحوار وإلى إلزامهم بالتفاوض. باختصار، هل أخطأ مازوفييكي في تبنيه ردة فعل اللاجئين؟ فإن كان لهؤلاء ما يبرر ردود فعلهم العنيفة فما مبرره هو؟

من يطلع على الحكم الصادر عن محكمة لاهاي بحق الجنرال البوسني الصربي راديسلاف كرستيتش قد يجد جواباً عن هذا السؤال: لقد أدين كرستيتش سنة ٢٠٠١ بالمشاركة في ارتكاب مقتلة سريبرينيتسا، وجاء في الحكم الصادر بحقه على لسان القاضي ألميرو رودريغ: «أيها الجنرال كرستيتش، لقد سلكت سبيل الشر في تموز سنة ١٩٩٥، ولذلك فإن هذه المحكمة تدينك وتحكم عليك بالسجن لمدة ٤٦ سنة». ثم صادقت محكمة الاستئناف على الحكم المذكور. ورغم ذلك لم تلبث العقوبة أن خفضت. بعد كرستيتش أدين ضابطان آخران من ضباط صرب البوسنة بالتهمة نفسها. ومع أن الملف، من الناحية القانونية، قد طوي، فإن البروفيسور ماريك والدنبرغ، أبرز المؤرخين البولونيين المتخصصين في شؤون البلقان، على غرار سواه، يصر، في كتاب له حول الصراع اليوغسلافي، على أن حقيقة ما جرى في سريبرينيتسا ما تزال مبهمة. وبغض النظر عن الشكوك المشروعة التي قد تقف وراءها الأهواء الشخصية، يمكن المرء، بصريح العبارة، أن يذهب إلى أن الفارق بين سريبرينيتسا وبين أوشفيتز كبير جداً بحيث لا يمكن إدراجهما تحت التسمية نفسها والوصف نفسه.

لعل هذه الملاحظة أن تكون صحيحة. فسريبرينيتسا ليست أوشفيتز، والمشروع القومي الصربي ليس نسخة منقحة عن المشروع النازي. لقد كان حلم كرستيتش وأسياده أن يرحل مسلمو البوسنة عنها إلى غير رجعة. ولا بأس إذا ظلوا على قيد الحياة... المهم أن يغادروا الأرض الصربية المقدسة.

بما أنني ولدت بعد الحرب من أب هو الناجي الوحيد من محرقة اليهود من بين أفراد أسرته، فإنني أميل، في حالة سريبرينيتسا، إلى استعمال عبارة «التطهير العرقي» على عبارة «الحل النهائي». ففرصة البقاء على قيد الحياة، ولو بصفة لاجئ، خير من الفناء، بكلام آخر، لا محل لإنزال القوميين الصرب من البوسنيين منزلة النازيين من اليهود.

على هذا فإن الثمانية الآلاف من الضحايا، والآلاف المجهولي المصير غيرهم ممن أبيدوا عمداً، حرموا، ترويعاً للهاربين، فرصة البقاء على قيد الحياة دون أن يرف لقتلتهم جفن.

إذ كنت أستمع إلى روايات الناجين من حرب البوسنة، على امتداد سنواتها، لم يكن ليسعني، بين يدي هذه الروايات، إمساك نفسي عن الإحساس بشيء من الألفة والدخلل. لا هذا الدخلل ولا تلك

أنشيف هودوفيتش، ١٩٩٥

أنشيف هودوفيتش، ١٩٩٥

أنشيف هودوفيتش، ١٩٩٥

الألفة كفيلان بتبديد كابوس الإبادة الصناعية في أوشفيتز، أو أن تحمله على غير محمله كمذبحة بكل معنى الكلمة. لقد قضى نصف ضحايا المحرقة اليهودية بالطريقة نفسها التي قضى بها ضحايا سريبرينيتسا، أي بما كان يطلقه الجنود العمال، في منفسحات الغابات، من رصاص. الساعات تلو ساعات. وحتى لو أن محرقة اليهود لم تشهد التحريق في غرف الغاز، فإن صفة المقتلة الجماعية تبقى ملازمة لها. إن وثيقة الأمم المتحدة الخاصة بالإبادة الجماعية وضعت إذ كان العالم تحت وطأة الصدمة التي أحدثها اكتشاف معسكرات القتل، فصيغت على نحو لا يدع لمرتكبي الجرائم التنصل منها بذرائع تقنية. لقد اكتشف الجنرال كرستيتش ذلك ودفع الثمن، رغم ادعائه، أمام محكمة الاستئناف، بأن لفظ «المذبحة الجماعية» لا ينطبق على ما جرى في سريبرينيتسا، نظراً إلى أن عدد الضحايا فيها كان أدنى من أن يستحق تلك التسمية. عليه كيف استقام بقاء آكاشي في منصبه حتى آب ١٩٩٥، ممثلاً للإجماع الدولي، في حين استبعد مازوفييكي باعتباره رجلاً غريب الأطوار؟ فهل أصاب دافيد رييف حينما قال إن مفاد شعار: «هيهات ذلك» (الذي رفع بعد الحرب العالمية الثانية) ــ أن مفاده:«لن يستأنف الألمان قتل اليهود في أوروبا في القرن الخامس والعشرين على الإطلاق»؟ نعم، لقد أصاب إلى حد ما بدليل أن الوثيقة لم تحل دون المذابح الجماعية: البيافرا وكمبوديا ورواندا والبوسنة ـ نعم البوسنة... فعلى ما قالت سيمون فيل في كانون الثاني ٢٠٠٥، وهي من ناجي أوشفيتز، بمناسبة الاحتفال بمرور ستين سنة على تحرير هذا المعسكر: «ومع ذلك، فإن رغبتنا في «هيهات ذلك» لم تتحقق. فمنذ ذلك الحين وقعت مذابح جماعية جديدة». ولم يمض على ما قالته سيمون فيل سوى أيام قليلة حتى نشرت لجنة التحقيق التابعة للأمم المتحدة تقريرها حول دار فور؛ وما ورد في هذا التقرير أن ما جرى هناك لم يكن مذبحة جماعية، إذ لا ما يثبت نية ارتكاب مذبحة، غير أن لجنة التحقيق إياها أكدت أن الثمانين ألف قتيل، ولو أنهم ليسوا ضحايا مقتلة جماعية، هم ضحايا جرائم حرب وجرائم ضد الإنسانية، وهو ما لا يقل فظاعة عن المذبحة.

هل في هذا التوصيف إفراط في التدقيق؟ ليس حقاً. فرأي لجنة التحقيق الأممية القابل للمراجعة من قبل محكمة العدل لاحقاً يكشف عن مدى الجدية التي على ضوئها يمكن إطلاق صفة المذبحة الجماعية. ليس كل عمل مروع مذبحة جماعية، ومع أن محكمة لاهاي اعتبرت في إعلانها أن ما حدث في سريبرينيتسا هو مذبحة جماعية، فالأمر ما يزال موضع أخذ ورد. وخلاصة الأمر أن الجنرال كرستيتش ليس الشرير الوحيد؛ لأن من كان بوسعهم أن يحولوا دون وقوع هذا الشر تهاونوا في ذلك، ومن ثم فهم شركاء في المسؤولية عنه.

لقد تطرق البوسنيون، في شهاداتهم، إلى هذا التهاون ذي الطابع الجرمي. فشهاداتهم لا تخلو أحياناً من أحاديث عن مؤامرة خبيثة حيكت بحقهم، ملمحين إلى اتفاقيات سرية بين الفرنسيين والصرب أو بين الروس والصرب، تحفظ مصالح الدولتين العظميين. وتطوف بالبوسنيين أحياناً أخرى الشكوك بأن الأمم المتحدة قد خولت، ضمناً، بموافقة ساراييفو، الجنرالين فلافيتش وكرستيتش ترسيم الحدود في البوسنة تمهيداً لقيام كيانين منفصلين. بل إن البعض ينزل هذه الشكوك منزل اليقين. لعله من المستحيل تأكيد هذه الأحاديث والشكوك اليوم، غير أنني أتفهم بواعثها: فتلكؤ المجتمع الدولي لا يخلو من أسباب

تطلب البيان، وبيان هذه الأسباب ما يسكت عنه من مصالح تعلو على حق سريبرينيتسا بالحياة. اليوم، وقد اجلت الأمور، لا يقنط أصحاب فكرة المؤامرة من التشبث بأن وجود مصالح خفية هو ما حال بين المجتمع الدولي وبين التدخل.

من المستحيل التكهن بما سوف يتكشف من حقائق في المستقبل، يوم يصبح بالمقدور الاطلاع على ما في الخزائن الديبلوماسية من وثائق. الأرجح عندي أن هذه الوثائق لن تكشف عن أعمال استثنائية تفوق فظاعة ما ارتكب على مرأى الجميع ومسمعهم. أما القول بأن أسباباً خفية مطوية تقف وراء تردد المجتمع الدولي في التدخل، فالأرجح عندي، رغم تفهمي حاجة البعض إلى هذا التفسير، أننا لن نقع في هذه الوثائق على ما يؤيده. كل ما في الأمر أن الاعتقاد بأن «لا بد أن العالم فاعل شيئاً ما»، اعتقاد خاطئ: لا ينتظرن أحد من «العالم» أن يفعل شيئاً ما لم يخرج عن طور احتماله الأخلاقي. إن لائحة الذين اكتشفوا هذا الأمر، دافعين ثمن اكتشافهم هذا من كيس الألم والمعاناة، طويلة طويلة؛ وليس البوسنيون إلا آخر الملتحقين بهذه اللائحة. فإن يكن الجنرال كرستيتش قد سلك سبيل الشر، فلقد سلك آخرون طريق التسليم بأنه لا سبيل إلى قطع هذا الطريق عليه. وأغلب الظن أن استراتيجية كرستيتش ومن على شاكلته تقوم على هذا الحدس الخبيث. لقد أخطأ البوسنيون إذ ظنوا بأن العالم سوف يهب لنجدتهم، كما أخطأ كرستيتش وأسياده بتقديرهم أن «العالم» لن يتدخل مطلقاً. بهذا المعنى يمكن القول إن مظلومية الثمانية الآلاف لم تذهب سدى: لقد بلغ السيل الزبى حين امتزجت وحشية القتل بجبانة ردات الفعل وبعجز الضحايا عن الدفاع عن أنفسهم، مما ولد شعوراً بالسخط، ساهم، على نحو غير متوقع، في استنهاض الهمم. كذلك فإن مازوفييكي لم يكن شخصاً غريب الأطوار، ولم يجاف كلامه ورد فعله العقل والمنطق. بخلاف ذلك كان صاحب الرؤية الأصوب والأثقب. لقد كفى أن يقوم الصرب باستفزاز إضافي، وهو ما قاموا به في ماركال في آب من ذلك العام، حتى وصلهم جواب استفزازهم هذا. عليه يمكن الاستنتاج بأن ردة الفعل الدولية ما كانت لتحصل لو أن ما جرى في سريبرينيتسا كان أقل فظاعة، أو لو تأخرت أحداث ماركال في الوقوع. عليه يمكن القول أيضاً إن ما طرأ على السلوك الدولي بعد سريبرينيتسا وماركال لم يكن مراجعة للاستراتيجية المتبعة منذ صيف ١٩٩١، وإنما، على الأرجح، مراجعة مفهومية للموقف برمته حيث اعتبرت سريبرينيتسا، على نحو ما، حدثاً فريداً يستدعي رداً استثنائياً. للأسف أن الأمر ليس كذلك. فسريبرينيتسا لم تكن سوى مظهر جديد من مظاهر الشر الذي يسكننا منذ قرون والذي تعهد العالم أن ينبذه، بعد أوشفيتز، إلى الأبد. للأسف أيضاً أن العالم لم ينجح في الثبات على عهده. ففي كل عام، في أمكنة جديدة، سريبرينيتسا جديدة يرتكبها كرستيتشيون مجهولون لا يدفعون ثمن جرائمهم بعد ارتكابها. أهو كذلك لأننا حولنا أوشفيتز إلى متحف، وإلى مكان ندرس فيه الماضي وليس إلى مكان نواجه فيه حاضرنا ومستقبلنا؟

يوم في حياة درازين إيرديموفيتش

بقلم سلافينكا دراكوليتش

ترجمة هيثم الأمين وسعيد الجن

أدين درازين إيرديموفيتش المولود في توزلا سنة ١٩٧١ من أم كرواتية وأب صربي، بارتكاب جرائم بحق الإنسانية لمشاركته، في ١٦ تموز سنة ١٩٩٥، في قتل مسلمين من البوسنة في سريبرينيتسا. عبّر إيرديموفيتش في أكثر من مناسبة، أثناء التحقيق وفي خلال المحاكمة، عن ندمه على ارتكاب هذه الجرائم. برر إيرديموفيتش ارتكاباته بحجة أنه أرغم عليها من طرف قائده الذي هدده بالقتل إن هو رفض إطلاق النار. حكم على إيرديموفيتش بداية بالسجن عشر سنين، ثم خفضت محكمة الاستئناف العقوبة إلى خمس بعد تبني المحكمة مقولة خضوعه للضغط الشديد وبعد شهادته إلى جانب فريق الادعاء الشخصي في دعوى كرستيتش وكارادیتش ــ ملاديتش. مذ ذاك أطلق سراح إيرديموفيتش وهو اليوم يعيش حراً متمتعاً بالحماية التي توفرها له صفته كشاهد.

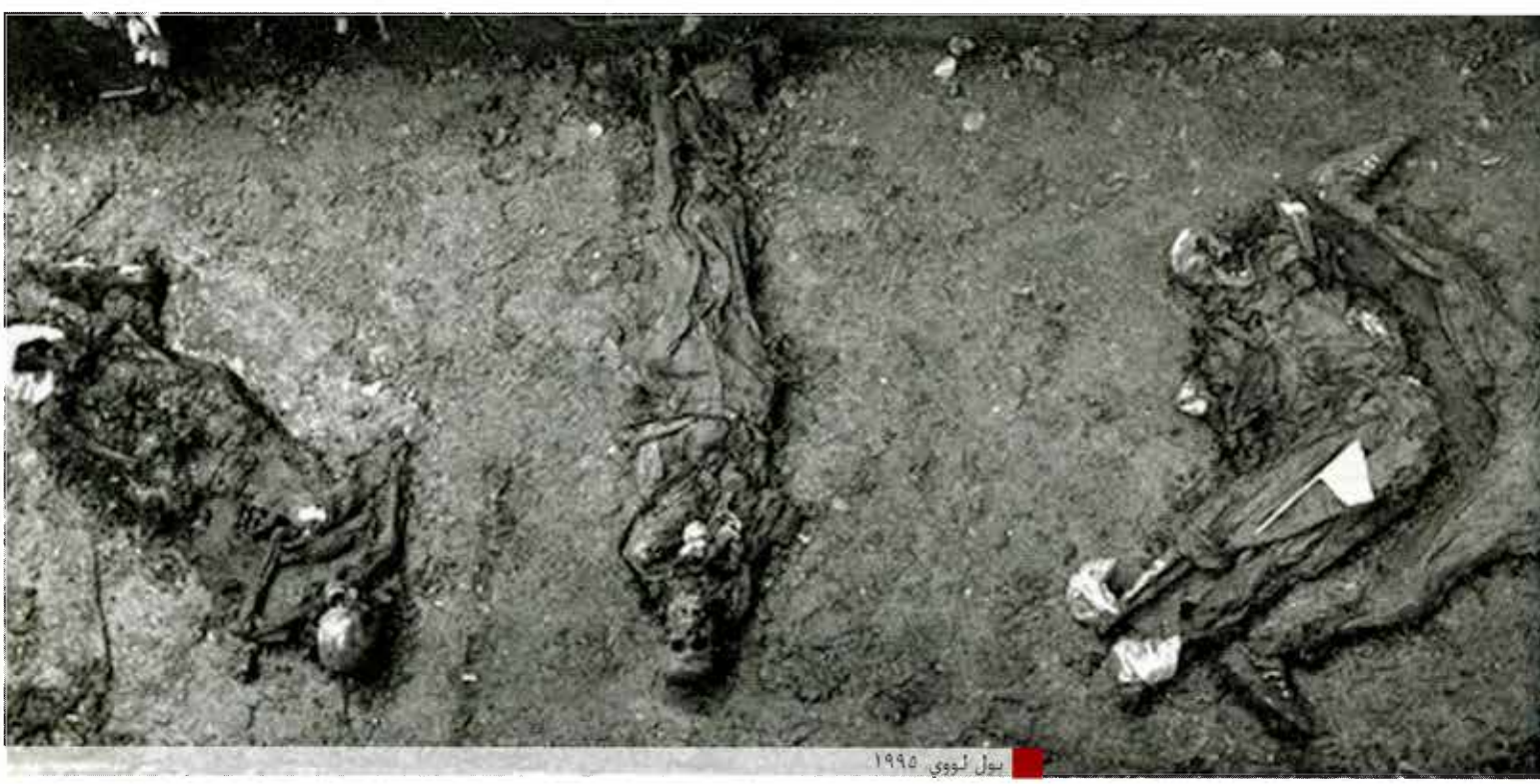

بول لووي، ١٩٩٥

كانت الساعة قد تجاوزت التاسعة بقليل عندما وصلت الوحدة التي ينتمي إليها درازين إيرديموفيتش إلى مزرعة برانيفو الجماعية. كان رجال الوحدة يجهلون طبيعة المهمة التي جاؤوا لتنفيذها. فخلال رحلتهم على متن باص من قاعدتهم في فلازنيكا إلى مقصدهم، لزم قائدهم برانو غويكوفيتش جانب التكتم فلم يطالع جنوده بوجهتهم ولا بالمهمة التي خرجوا لتنفيذها. لم يرق الأمر لدرازين. فمهام وحدته، وحدة الهندسة العاشرة في جيش الجمهورية الصربية في البوسنة كانت تقتصر إما على استكشاف الميدان وإما على زرع الألغام في مناطق العدو. وكانت العادة أن يحاطوا علماً بتفاصيل مهامهم مسبقاً. هذه المرة اختلف الأمر. كل ما عرفه درازين أنهم نقلوا معهم كمية كبيرة من الذخائر للمسدسات والبنادق والرشاشات.

بعد رحلة قصيرة ترجلوا من الباص ووجدوا أنفسهم بجوار مزرعة. مزرعة خنازير خلت إلا من حارس واحد وحيد. افترش درازين وعدد من رفاقه الأرض متظللين بالسنديانة التي تتوسط ساحة المزرعة وراحوا ينتظرون. في ذلك الصباح الحار راح درازين يتأمل الحقول المحيطة به، والغابة المتألقة تحت الشمس، وملتقى الجبال بالسماء الزرقاء. كان المنظر رائعاً. وعادت به الذكريات إلى قرية أبويه حيث كان يقضي في صغره عطل الصيف. لقلة أسفاره كان يرى البوسنة، شأنه شأن غيره، بلاداً رائعة. تمنى لو أتيحت له فرصة السباحة في النهر تماماً كما كان يصنع في صغره حينما كان يذهب مع لداته إلى الساقية التي تجري بالقرب من قريتهم وكل زاده حبة بندورة وشطيرة زبد كانت تعدها له جدته. ولم يزل درازين يذكر المتعة التي كانت تغمره إذ كان يتصبب عرقاً فيركض ويرمي بنفسه في الماء البارد ثم يخرج ليقضم حبة البندورة التي دفأتها الشمس.

ولكن درازين اليوم لم يقصد برانيفو ليسبح. كان قلقاً، فأشعل سيكارة. وسأل إيفان رفيقه الكرواتي الجالس بقربه: ماذا ننتظر؟ لم يكن مزاج إيفان، هو الآخر، صافياً فتمتم قائلاً: لا تكثر من الأسئلة. فصمت درازين وعاد إلى افتراش العشب المنعش الذي بلله ندى الصباح. كانت زرقة السماء باهرة تكاد أن تؤذي عينيه، فأغمضهما وأطلق العنان لأفكاره. حبذا لو يستطيع الفرار من هذا كله: من هنا، ومن الحرب، ومن بزته، ومن هذا التراشق بالنار. لم يحب درازين الجندية يوماً ومن ثم فلم يحقق الكثير على المستوى المهني. حاز مرة على ترقية إلا أن ترقيته لم تدم سوى شهرين لأن رؤساءه سرعان ما تحققوا من عدم استحقاقه إياها.

لم يعرف النجاح في حياته؛ فلقد تدرجت فصولها كما لو أن قوة خارجية تقرر مصيره. كان الأولى به أن يبقى في توزلا، لكن توزلا لم تكن في حاجة إلى عامل مخرطة ــ مهنته قبل الالتحاق بالجيش. وعلى كل حال فلم يكن بوسعه أن يتجنب مهنة السلاح ذلك أن جميع أترابه من الرجال جندوا، مَنْ في الجيش الصربي، ومَن في الجيش الكرواتي، ومَن في الجيش البوسني. قبلها، أدى درازين خدمته العسكرية في شرطة الجيش الوطني اليوغسلافي في بلغراد سنة ١٩٩٠، قبل أن أرسل لمحاربة الكروات في سلافونيا. وحينما عاد إلى توزلا سنة ١٩٩٢ جنده مجلس الدفاع الكرواتي وأرسل للقتال في الهرسك. بعد عام على ذلك ترك مجلس الدفاع وراح يسعى إلى كسب عيشه متجنباً العودة إلى مهنة

السلاح. ثم تزوج وأنجب ولداً. لم يكن مخيراً في كل ما فعل، تماماً كما يجد نفسه الآن. كان يفترض به الآن أن يكون في سويسرا لا في برانيفو. فهو قد جاء إلى الجمهورية الصربية صحبة زوجته لكي يتدبر أمر الحصول على المستندات الضرورية لمغادرة هذا البلد الذي أصابه مس من الجنون. إلا أن الشخص الذي كان يفترض به أن يتدبر لهم هذه المستندات اختفى عند وصولهم إلى بيليينا. وإذ ألفى نفسه وزوجته وطفله بلا مال، لم ير بداً من أن يبحث لنفسه عن عمل. قبل ثلاثة أشهر على ذلك كان أحد أصدقائه قد راواه بأن جيش الجمهورية الصربية يدفع جرايات مغرية فضلاً عن توفير المسكن لجنوده. وما هي حتى وجد درازين نفسه ينتقل للسكن في منزل كان يؤوي سابقاً عائلة من عائلات المسلمين. لم يكن الالتحاق بالجيش في رأيه إلا حلاً مؤقتاً. فلقد كان همه المقيم أن يحصل على الأوراق اللازمة للهجرة من هذا البلد؛ كانت الهجرة الحل الأمثل لديه. عوض سويسرا ها هو يجد نفسه في مزرعة خنازير مهجورة...

بداية جرت الأمور على ما يرام؛ فخلال أربعة أعوام تقلب في مختلف قطاعات الجيش وخدم في عدد من المناطق، إلا أن الوحدات التي التحق بها لم تشارك في القتال فبدت له الحرب حرباً وهمية، وبدت له مشاركته فيها مشاركة متخيلة؛ وكثيراً ما راوده الشعور بأن من يرتدي البزة شخص سواه.

ممدداً على العشب، سارحاً في تهويماته، وإذا وقعُ اهتزاز خفيف. ذكره ذلك بما كان منه في طفولته يوماً حيث ألصق أذنه بخط السكة الحديد، وأمكنه أن يسمع هدير القطار قبل ظهوره من وراء الأكمة بوقت طويل. ثم نهض ونظر حوله. لم يكن رفاقه قد تنبهوا بعد على شيء مما تنبه عليه هو، ولكن سرعان ما ظهر الباص الأول. كان هذا الباص في حالة مزرية، فهو من تلك الباصات التي يستخدمها الفلاحون للتنقل بين قراهم والتي من شيمتها أن تتعطل في أي لحظة. قرأ درازين ما كتب عليه: نقل المعتقلين، ورأى جنوداً يتبوأون مقاعده الأمامية. توقف الباص أمام المبنى الرئيسي على بعد خمسة عشر متراً منهم، وتبادل قائدهم وسائقه كلمات قليلة، فيما كان جنديان يفتحان باب الباص الخلفي. ترجل من الباص رجل. ما حيي لن ينسى درازين وجه هذا الرجل إذ أدرك لمرآه للتو طبيعة المهمة التي جيء بهم للقيام بها، فأخذته الرجفة. كان الرجل طويل القامة، شديد النحول، ذا شاربين، لكن درازين لم يستطع أن يقدر له سناً بسبب العصابة المتسخة التي كانت تعصب عينيه. كان يرتدي قميصاً أزرق بلله العرق، وسروال بزة رياضية أزرق وحذاء باسكت. كانت يداه موثقتين إلى ظهره؛ وإذ نزل من الباص خطا بضع خطوات قلقة ثم تبعته مجموعة من المعتقلين تقارب العشرة. اقتاد جندي طليعة الباص والمجموعة إلى الحقل الممتد خلف البناء.

أمر القائد جنوده بالتجمع وأعلمهم بأن باصات أخرى تقل مدنيين من سريبرينيتسا على الطريق. ظن درازين أن الأمر يتعلق بجنود مسلمين أسرى استسلموا إلى وحدات جيش الجمهورية الصربية. صاح القائد: سنعدمهم رمياً بالرصاص. فجأة تنبه درازين ورفاقه أن وحدة الهندسة التي ينتمون إليها استحالت فرقة إعدام. لم يحدث أن أوكلت إليهم في ما سبق مهمة من هذا القبيل. لم ينبس أحد ببنت شفة. وحده بيرو الذي لاحظ درازين

أنه كان يعب من زجاجة كونياك كان يتحرق شوقاً لتنفيذ الأمر. نظر درازين إلى الأسرى. التفت أحدهم نصف التفاتة لعله يرى ما وراءه، أو لعله يرى بارقة أمل. هل من شيء حقاً التفت ذاك الملتفت يطلبه؟ تولى الاشمئزاز درازين وأحس بالغثيان.

قال في نفسه: لن أفعل. كيف لي أن أقتل هذه الأنفس على هذا النحو. مرجّف اليدين. توجه إلى قائده: لن أفعل. استدار برانكو غويكوفيتش برأسه باتجاه درازين وكأنه لم يسمع ما قال. ماذا تقول؟ علم درازين أن غويكوفيتش يريد منه أن يعيد ما قال لكي يسمع الجميع فيشهدهم بذلك عليه.

نظر إلى رفاقه الجنود وقال: أيها الرفاق، أرفض أن أفعل ذلك. هل أنتم بشر أسوياء؟ وتابع، بحماس أقل، إذ أخذ رفاقه يشيحون بنظراتهم عنه و شعر بحماسه يتلاشى، «ألا تعلمون ماذا تفعلون؟». راح بيرو يسخر منه على الملأ. ثم ساد صمت مرير. تذكر فجأة أنه لم يسمع زقزقة عصفور طوال النهار. نظر إليه غويكوفيتش صارماً متجهماً ثم قال: إيرديموفيتش، بما أنك تعصي الأوامر، اذهب وقف هناك في صف الأسرى فنرميك معهم بالرصاص. هات سلاحك.

علم درازين أن القائد جاد في كلامه، فلم يدر ما يصنع. لم يكن ينتظر منه مثل هذا الرد. كان منتهى أمله أن يعفي نفسه من المشاركة في القتل بقول «لا». ما الذي سول له هذا التوهم؟ ها هو الآن يتذكر يوماً شبيهاً بيومه هذا: يوم أعدم جندي بأمر من القائد بيليمي لعصيانه الأوامر؛ ساعتها تيقن أنه تأخر في قول لا. كان عليه أن يقولها قبل ذلك بكثير. أخذ قلبه يخفق بشدة حتى أنه عاد لا يسمع شيئاً سوى هذا الخفقان. أقام برهة على حاله، بلا حراك، رشاشه الكلاشينكوف بين يديه. فكر بالهرب في الغابة. تراءى له وجه زوجته فاستبد به العجز. من لها وللطفل أن يحميهما من الانتقام؟ قال لنفسه إنه الآن مسؤول عن أرواح ثلاثة لا عن نفسه فقط. وما إن خطر ذلك في خاطره حتى أدرك أنه يتوسل بهذا الخاطر ذريعة ليس إلا؛ حقيقة الأمر أنه جبان؛ لا ريب عنده في ذلك. ولكن ما حيلته؟ غويكوفيتش لن يتردد في إعدامه، ولسرّ بيرو بأن ينفذ أمر غويكوفيتش إن أتاه، ولو أن درازين لا يرى سبباً لسخطهما عليه. لعل مرده إلى أن درازين ليس صربياً قحاً، وهذا بحد ذاته سبب إضافي لكي يحمل التهديد على محمل الجد.

أشاح القائد ببصره، كما لو أنه كان يزري بقرار إيرديموفيتش، ثم أمر الجنود باتخاذ مواقعهم خلف الأسرى، وأمر الأسرى بالركوع. أخذ درازين على أحد طرفي صف الجنود. خافق القلب أسند البندقية إلى كتفه وصوب شيخاً لم يكن، لحسن الحظ، يرى وجهه. استعرض بسرعة وبغيظ جميع الاحتمالات. ماذا لو وجه رصاصات بندقيته إلى الخلاء الذي بين أسيرين؟ لن يقدم ذلك ولن يؤخر ولن يلبث الأسير إن نجا أن يقتل، لا بل سيشعر بنفسه يقتل مرتين. ضف أن عديد وحدتهم قليل، مما يجعل مناورته هذه عرضة للانكشاف. ومتى ما انكشفت فلن يتردد القائد عن إردائه على الفور. لا بد له إذاً أن يصمي إذا رمى. صدر الأمر: «نار» فاختفى الشيخ عن ناظره ولم يبق في ذاكرة درازين سوى أنه كان يرتدي قميصاً رمادياً. أغمض عينيه محاولاً أن يستعيد رباطة جأشه إلا أن الوقت لم يسعفه إذ مثل أمامهم صف جديد من الأسرى. انطلقت من فم أحدهم شتيمة لم يفرغ مطلقها

من التفوه بها لأن الأمر بإطلاق النار سبقه. صفاً تلو صف تابع درازين إطلاق النار محاولاً ألا يشغله من شاغل سوى محاولة تصيد الأسن من بين الأسرى معتبراً أن هذا أهون الشرور. وما هي حتى انتهوا من ركاب الباص الأول.

نظر درازين إلى ساعته فهاله أن يتبين أن إعدام ركاب الباص الستين لم يقتض منهم سوى ربع ساعة. في هذه الأثناء، وصل باص ثان. لم يكن بوسع الأسرى المعصوبي الأعين، شأن سابقيهم، أن يخمنوا ما ينتظرهم. ارتاح درازين لهذه الفكرة بل رأى في عصب أعينهم فعل رأفة ورحمة. ولكن سرعان ما تبدل الحال مع وصول باصات ملؤها رجال حاسرون، لا قيود في أيديهم، كأنهم اقتيدوا على عجل وكدسوا في الباصات. لم يفهم درازين لماذا على عجل... أمر آخر حير درازين وبدا له خارجاً على العقل والمنطق: هؤلاء الرجال يدركون لا شك ما ينتظرهم. إنهم يرون الجثث متناثرة على الأرض ويرون الجنود متأهبين لإطلاق النار. فكيف يكون منهم أن يترجلوا من الباص خانعين ويسيروا إلى حتفهم ، يواكبهم جنديان ليس إلا. لماذا لا يحاولون الفرار والاحتماء في الغابة القريبة لعل أشجارها الكثة أن تواري البعض منهم فتكتب لهم فرصة ولو ضئيلة في النجاة. أحد من الأسرى لم يفعل. لم يحدث لدرازين أن بصر بشيء من مثل ما كان يدور على مرأى منه: كان الأسرى يتقدمون بانتظام إلى ساحة الإعدام كقطيع يمم صوب المسلخ. هل منوا النفس بأن ينقذهم منقذ؟ لو أنهم أطلقوا جميعاً لسيقانهم العنان وفروا راكضين فلا شك في نجاة البعض منهم. وحتى لو انتهى بهم الأمر إلى القتل فحسبهم أنهم حاولوا ولم يفلحوا. في أية حال لا ما يخسرونه بعد. لا بد أنهم رأوا الموت بأم أعينهم لحظة ترجلهم من الباص. تمنى درازين لو يهربون فيبرروا له أن يطلق النار عليهم. لكان ذلك أهون وأعدل، ولكان فيه أيضاً بصيص أمل ولو شاحب. إلا أن الأسرى كانوا يتقدمون إلى حتفهم بثبات وسلام كأنهم في بحران.

هل فقدوا الإحساس بكل شيء؟ ثم كان من درازين أن لاحظ ما هاله. لقد تبين بقعة عند أسفل سروال الرجل الذي كان يصوب إلى رأسه، بقعة راحت تتسع شيئاً فشيئاً. ثم تناهى إليه الأمر بإطلاق النار. فعل. سقط الرجل أرضاً، فرآه درازين في أرماقه الأخيرة. يتابع التبول. تولى الرعب درازين إذ شعر وكأن ما يصيب الرجل يصيبه. قال لنفسه: كان بالإمكان أن يحل بي ما حل بهذا الرجل. إلا أنه سارع إلى استبعاد فكرة هذا الخاطر الممضّ. كان متعباً، ناقماً على نفسه، على غويكوفيتش وعلى كل الناس. أين العدل في قتل هذه الأنفس جميعاً؟ لو كانوا جنوداً لوجب أن يعدوا أسرى حرب، ولو كانوا مدنيين فلا عذر في إعدامهم. مهما كان الأمر، فلا ما يعذر له ولا لرفاقه ما يقومون به. ولو كان من عدالة لما أعدم هؤلاء الرجال على هذا النحو بلا محاكمة وبلا أدنى دليل على ذنبهم. لا يستقيم أن يموت المئات بهذه الطريقة. وعاجلاً أم آجلاً سوف يعمد أقرباؤهم إلى البحث عنهم ولا بد أن ينكشف أن الوحدة التي ينتمي إليها درازين هي المسؤولة عن قتلهم.

لقد حرص غويكوفيتش أن يعدم هؤلاء الرجال على غير مرأى من الشهود ومسمع ولكن، أليس الجنود شهوداً؟ ومن أين له هذا اليقين بأن أحداً منهم لن يفشي السر؟

عند هذا الخاطر، لفتت درازين جلبة مأتاها ستيني من الأسرى، قد وخطه الشيب يصيح:

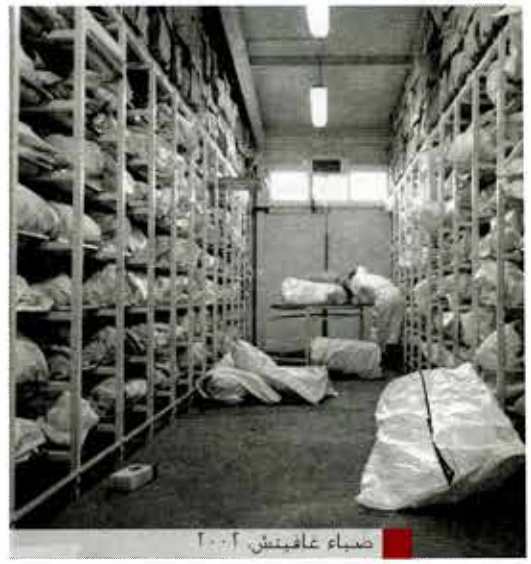
ضياء غافيتش، ٢٠٠٢

ضياء غافيتش، ٢٠٠٢

لا تقتلوني! لقد أنقذت العديد من الصرب في سريبرينيتسا، إن شئتم عددت لكم أسماءهم فيشهدون لي. أخرج الرجل من جيبه ورقة، فاقترب منه درازين وانتحى به جانباً ثم ناوله سيجارة وكوباً من عصير البرتقال. جلس الرجل ينفث دخان سيجارته مرتجف اليدين، ثم قدم الورقة لدرازين قائلاً: هاك الأسماء وأرقام الهواتف. لكم أن تتحققوا من أنني أقول الحقيقة. كان درازين على يقين بأن الرجل لن ينجو، لا لسبب إلا لأنه شاهد عيان على المجزرة، وهذا سبب إضافي يوجب القتل. ما الذي دعاه إلى الانتحاء به جانباً؟ لقد أكبر درازين في الرجل أنه لم يقبل أن يموت خانعاً كما الآخرون. توسم فيه الصدق والجسارة، وقد رأى أنه صادق وجسور، فود أن يطيل في عمره ما أمكنه ذلك... قال الرجل: كنا نعيش جنباً إلى جنب مسلمين وصرباً وكرواتيين، فما الذي أصابنا نحن الناس العاديين؟ كيف خلينا بيننا وبين كل ما يحدث؟ عقب درازين قائلاً: نعم ماذا أصابنا؟ تابع الرجل: أما من أحد يفسر لي ذلك! أليس من حقي أن أفهم؟ لست أوسع منك علماً. أمي كرواتية وزوجتي صربية.

أيقن درازين أن بينه وبين هذا الرجل مشتركاً يميزهما عن الآخرين، فهما لا يكرهان من كان يختلف عنهما منبتاً. سأله الرجل وهو يعب نفساً عميقاً من سيجارة يعلم علم اليقين أنها الأخيرة: كيف تطيعك يداك فيما تفعل؟ لم يحر درازين جواباً إلا أنه عبد مأمور لا يملك على خياره. كان من الحمق أن يجيب درازين الرجل المقبل على الموت بهذا الجواب. إلا أن جواب درازين كان الحقيقة العارية. كان درازين مدركاً ذنب الرجل الأوحد، أنه لا ينتمي إلى الأمة الناجية، وأن انتماءه هذا ليس من صنع يديه.

انقطع حبل حديثهما حين اقترب منهما بيرو وجندي آخر، واقتادا الرجل. حاول درازين أن يمنعهما من ذلك رغم علمه بأن محاولته محكومة بالفشل. صرخ به إيفان: اخرس، ولا تتحامق. ولم تمض دقيقة حتى قضي وانضم الرجل إلى قافلة الجثث.

كانت الشمس قد جاوزت الزوال بقليل، ولم يكن الجنود قد نالوا أدنى قسط من الراحة بعد. بداية كان درازين يلوذ بالظل كل نصف ساعة ليدخن سيجارة. كانت هذه الاستراحة نوعاً من الهروب. لم يلبث أن فقد الرغبة في التدخين. لقد أصبحت حركاته آلية. يصوب على الرأس ويطلق النار، ولا يمسح جبينه قبل أن يخر الأسير أمام ناظريه. آثر أن يدع الأمر على هذا النحو، فلو أنه أطال الاستراحة لأدركته رائحة الموت الفائحة من الجثث. ففي الصيف يبدأ تحلل الجثث من ساعتها. تذكر كيف كانت أمه ترسله أحياناً لشراء اللحم، وكيف كان يحاول

التملص من هذه المهمة. لم يكن يحتمل روائح الملاحم في الصيف. كان يتقزز من الذباب الأزرق الكبير وهو يحط على اللحم ويبيض فيه. أما القصاب فكان يسلي نفسه بالتقاط هذه الذبابات وتغريقها في كوب ماء. كان درازين يهرول عائداً إلى البيت هرباً من روائح العفن هذه. وكانت أمه تمازحه قائلة: ما أرهف أنفك! ها هي الرائحة نفسها تهب عليه من الحقل، وها هو الذباب الأزرق نفسه يحط على الجثث الطازجة. رأى إيفان وجه درازين ممتقعاً، فقدم له جرعة من خمر بلدي مقطر. فعلت به الخمر فعلها وأعلت معنوياته. وها هو يردي عدة مجموعات ويتابع المشاركة في عمليات الإعدام... وإذ استزاد جرعة من الخمر، حانت منه التفاتة إلى ولد صغير يترجل من الباص. لم تكن عينا الولد معصوبتين فرأى درازين وجهه، مخلاً بما عاهد نفسه عليه من عدم النظر إلى وجوه الأسرى، لما كان يصعبه عليه في قتلهم مرأى وجوههم. كان الولد في الخامسة عشرة من عمره أو لربما دون ذلك، كان عاري الصدر فبدت بشرته البيضاء وقد لوحتها الشمس. راح الولد يقلب عينيه في الجنود ثم في الحقل المغمور بالجثث. راحت عيناه تتسعان انشداهاً وكأنهما تحاولان أن تحيطا بالمشهد كاملاً. فتمتم درازين قائلاً لنفسه على غير مسمع من الآخرين: ما خطبكم؟ إن هو إلا طفل! طفل! ثم تدبر موقعه بحيث لا يجد نفسه وراء الطفل. ما إن جثا الأسرى على ركبهم أمام الفرقة بانتظار قدرهم المحتوم، حتى سمع درازين صوت الصبي هامساً: ماما! لطالما رأى درازين يومذاك أسرى يتوسلون إلى الجنود للإبقاء على حياتهم، رأى رجالاً يبكون كالأطفال واعدين الجنود بالأموال والسيارات، وحتى بالمنازل إن هم عفوا عنهم. ولطالما سمع لعنات وأصوات أنين ونحيب. أما هذا الصبي فكان ينادي أمه، كما ينادي الأطفال أمهاتهم إذ يستيقظون من كابوس، فيطلبون يداً تلامس جبهاتهم مخففة عنهم قلقهم. خر الصبي قتيلاً ولكن درازين لم ين يسمع صوت ندائه. لا بدّ أنني أهذي. هكذا قال في نفسه. للمرة الثانية ذلك اليوم لم يتمالك نفسه، فأسرع إلى أجمة وراح يتقيأ. لم يخرج من جوفه سوى سائل مصفر تفوح منه رائحة الكحول.

لم يصل الباص التالي بعد، تسند إلى شجرة، منذ العاشرة صباحاً، تحت شمس حارقة، لم يتوقف درازين عن إطلاق النار متجنباً النظر إلى وجوه الأسرى، أو التفكير في مصائرهم، مكابراً على أحاسيسه. شعر بالحدر، يبس جسمه، وخيل إليه أنه عاد دمية يتحكم بحركتها متحكم. فإن شد حبلاً رفعت الدمية يديها، وإن شد آخر أطلقت النار. جلس درازين وسرح نظره في البعيد. سمع عويلاً تبعه إطلاق رشق رصاص. لم يستدر برأسه صوب مصدر النار، آثر ألا يرى شيئاً. ضاق ذرعاً بالقتل، كم من باص سيفد بعد؟

حوالى الثالثة عصراً انتهى كل شيء. أعلن غويكوفيتش أن لا أسرى بعد. سارع الجنود إلى الباص. كان وهج الشمس ما يزال على أشده والروائح النتنة لا تحتمل. استعجل درازين مغادرة هذا المكان المريع. وانتابته الرغبة أن يلقي بجسده في ماء، أو على الأقل أن يستحم ليخفف من رائحة الموت. حبذا وسعه أن يغسل ولو يديه! ها هو الآن يتفحصهما بعناية. لم تلطخهما الدماء ولا أثر عليهما مما اقترفتا سوى نفطة في السبابة من يده اليمنى. نفطة مكورة حمراء. تمتم: عجبي! كل هذا القتل بهذه النفطة الصغيرة! واحتسب ما أطلقه من رصاص فكان حوالى المئة طلقة. لقد قتل إذن حوالى المئة. ولم يزد ما أصابه

من جراء ذلك أن تنبت تلك النفطة في سبابته. بدا له الأمر مضحكاً ، فانطلق في ضحكة هستيرية.

أخيراً غادر الجنود المزرعة. كانت الجثث تغطي الحقل خلف الأبنية. من سيواري هذه الجثث؟ أشاح بوجهه، الأمر لا يعنيه. لقد أدى قسطه من الأمر. للمرة الأولى ذلك اليوم أمكنه أن يتنفس ملء رئتيه. على أن المسألة لم تكن قد انتهت بعد.

عندما بلغوا ضواحي قرية بيليكا المجاورة أبلغهم آمر الوحدة أن في بيت الثقافة خمسمائة أسير مسلم برسم الإعدام. هذه المرة كان عصيان الأمر أسهل لأن درازين لم يكن الوحيد الذي رفض تنفيذه. كان الجنود جميعاً منهكين من القتل فأبوا الامتثال. تطوع جنود آخرون، أوفر نشاطاً، اتفق وجودهم في بيليكا، للقيام بالمهمة فوافق آمر الوحدة. جلس درازين إلى طاولة مقهى يقابل بيت الثقافة وطلب فنجاناً من القهوة. قبل أن وصلت وحدتهم حاول بعض الأسرى أولئك الهرب إلا أنهم قتلوا جميعاً، في الشارع المنحدر، في خلال محاولتهم الفرار. كان بعض الجنود ما يزالون يفتشون الجثث بحثاً في جيوب أصحابها عن شيء من مال أو حلي. كان درازين ينظر إليهم ساهماً. ينظر إليهم فقط ويحتسي قهوته البالغة الحلاوة.

كان على يقين من أنه لن ينسى هذا اليوم ما حيي وأن هذا اليوم لعنة لبسته إلى الأبد: من نكهة القهوة، إلى السماء الزرقاء، إلى هدير الباص الأول، إلى الرجل النحيل ذي الشاربين، إلى السروال المتبقع بالبول، إلى رائحة الجثث النتنة، إلى الدم الأحمر المتشخب من جرح أحدهم، إلى الصبي المنادي أمه... أحس بأن هذا اليوم سوف يغير حياته بأسرها، لا بل قد غيرها. طفحت عينا درازين بالدمع. في صباه كان أبوه يقول له كلما عاد إلى البيت دامي الركبتين: ليس من شيمة الصبيان البكاء. ولكن... أين أبوه اليوم فيقرأ عليه الدرس ثانية؟ لا بل أين أهله جميعاً؟ أين امرأته؟ أين أصدقاؤه؟ لم يشعر درازين، حياته أجمع، بشيء من قبيل هذه الوحدة التي يشعر بها اليوم: وحدة يصحبها أينما حل وتصحبه فيها ألف ومئتا جثة.

حقوق الإنسان على محك المجازر:
مصطلحات مطلقة وسياسات نسبيّة

بقلم حازم صاغيّة

لدى النظر في سياسات حقوق الإنسان، لا سيما ما يتصل منها بالمجازر، لا يملك المرء إلا أن يُفاجأ بالبديهيّ، أو بما قد يبدو له بديهيّاً. فنحن، نظريّاً، أمام مُطلقات لا ينبغي أن تُثار لدينا أية حيرة في شأنها: «حقوق إنسان»، «ضحيّة»، «جلّاد»، «مجزرة»، «ارتكاب». لكن هذا القاموس المتلىء بمصطلحات مطلقة، سلباً أو إيجاباً، لا ينطوي، لدى التفكير في سياسات معادلة له، إلا على نسبيّات. والحال أن تعبير «نسبيّات» كلمة مهذّبة تختفي فيها، في بعض الحالات، صغائر لا تُحصى، بينها السياسي، بالمعنى الذي يدلّ إلى أضيق المصالح، وبينها الشخصي والأناني.

وأغلب الظن أن الفارق الشاسع هذا هو ما يجعل الدهشة البريئة، المشوبة بلغة الاتهام الأخلاقي، وأحياناً هجاء الكون ورجم الطبيعة الإنسانية، سلاحاً لا يفارق دعاة حقوق الإنسان المكتئبين وأصحاب الوعي الحقوقي على أنواعه. وهم لا يتورّعون عن استخدام سلاحهم هذا، المرّة بعد الأخرى، من دون أن يثنيهم الاكتشاف المرير والمتكرر بأن شفرته ربما كانت مثلومة.

فإذا كانت الحكومات كلها أنانيّة، لا فارق بين الديموقراطي فيها وغير الديموقراطي، بتنا على مشارف وعي شعبويّ مناهض للسياسة لا يتورّع عن اتهامها بأنها نشاطٌ عديم الحساسيّة حيال قتل البشر. هذا إن لم يتهمها بالتواطؤ في أعمال القتل تلك. وهو افتراض لا يقلّ خطره عن خطر المجازر، إذ يحمل في طيّه بذور فوضى عارمة، وربما هيوليّة، فضلاً عن سهولة استخدامه قاطرةً لوصول عدد من الدماغوجيين الذين يستسهلون العنف وسفك الدماء إلى السلطة.

وما يزيد في تضخيم الفارق الضخم أصلاً بين إطلاقيّة حقوق الإنسان ومتفرّعاتها، وبين نسبيّة سياساتها، أننا بتنا نملك الكثير من التجارب التي تعود فتتكرر، بشكل أو بآخر، عاماً بعد عام.

فنحن نعرف، مثلاً، أن العالم الديموقراطي، إبّان المحرقة، حاول أن يصمّ أذنيه عن ذاك الهول الاستثنائي. فقد خذل قادة «الحلفاء»، مرات عدة، مناشديهم أن يقصفوا معسكرات التجميع النازيّة أو سكك الحديد المفضية إليها. وحين انتهت الحرب، قال ذاك العالم المتقدّم بلسان سياسييه ومثقفيه ومعلّميه وصحافييه جميعاً: «أبداً لن تتكرر ثانيةً».

إلا أنها، وبأشكال أخرى، عادت وتكررت في أجزاء كثيرة أخرى من الكرة الأرضية مثلما تكرّر سلوك غض النظر وأحياناً التواطؤ، أو ما يتبدّى للكثيرين تواطؤاً.

فمأساة رواندا في ١٩٩٤ واجهها العالم بالصمت والشلل وتوالي الاجتماعات، في أوروبا والولايات المتحدة الأميركيّة، ما لم ينجم عنه شيء يُذكر. وكان كل ما صدر حينذاك عن الرئيس الأميركي بيل كلينتون اعتذاراً نبيلاً لضحايا المجزرة وقد صاروا تحت التراب. ولئن كنا رأينا، قبل المحرقة اليهودية، هذا العجز المشابه حيال مجزرة الأرمن في ١٩١٥، فإننا عدنا نراه في مجزرة الكمبوديين على أيدي «الخمير الحمر» في السبعينيات والمذابح البوسنيّة، التي تأخّر إنجاد ضحاياها، في التسعينيات. لا بل ثمة من رأى أن ردة الفعل في الولايات المتحدة على مجزرة الأرمن، قبل قرابة قرن، وردة الفعل على مأساة دارفور الراهنة، تنمّ عن وجهة متناقصة لا تواكب ارتفاع الحساسيّة الديموقراطيّة داخل البلدان الغربيّة نفسها، كما لا تتجانس، بالطبع، مع الوجهة الاقتصادية المسمّاة بالعولمة.
فأين تقع المشكلة إذاً؟

يغامر المرء بالقول إنها أكثر تعقيداً من سياسات الصغائر والأنانيات، ومن الاتهام المتسرّع بالعنصريّة، من دون أن تغيب احتمالات كهذه. فهي تقيم في ذاك التفاوت حيال مسألة الدولة التي حين توجد تكون القوانين وتكون الحقوق، ومن ثم يكون الوعي بالحقوق.
فمن المُلاحَظ، أولاً، أن الانهيارات الوطنية والأهلية الكبرى التي تعرّضت لها البلدان المنكوبة، وتأدّت عنها، أو واكبتها، المجازر وسائر الارتكابات بحقّ البشر، إنما حصلت بالتوازي مع انهيار الدولة المعنيّة و/أو انهيار النظام الدولي الحاضن لها والقائم لحظتذاك.
فإبّان الحرب العالميّة الأولى، جدّت مجزرة الأرمن، ومع الحرب العالميّة الثانية كانت المحرقة النازيّة، ومع اختتام الحرب الباردة نشبت الحرب اليوغوسلافيّة. وبدورها، لم تنفصل المجزرة الكمبوديّة عن الصراع السوفياتي-الصيني-الأميركي واحتدامه في آسيا، بينما ترافقت الأهوال الأفريقيّة دوماً مع ذاك الاختلال في الأنصبة الحديثة التشكّل لدول القارة السوداء وحدودها.

وبالنزول من التعميم إلى قدر من التفصيل، نتذكّر كيف وصف ريتشارد هولبروك، نائب الوزير الأميركي للشؤون الأوروبية إبان هجمة الجنرال راتكو ملاديتش على سريبرينيتسا، النظامَ الدولي، ببلوغ درجة الافتقار إلى الطاقة والزخم. فمنذ ١٩٩١، مع الانتصار الملحمي على صدام حسين وتحرير الكويت من غزوه، لم يترك الرئيس جورج بوش أي غموض حول نيّة بلاده عدم التدخل العسكري في يوغوسلافيا السابقة. أما خلفه الرئيس بيل كلينتون، ورغم كلماته الحازمة في دعم مسلمي البوسنة، فلم يخطر له إرسال قوات عسكرية إلى الميدان. صحيح أنه حثّ «الناتو» على استخدام طائراته الحربيّة في قصف الصرب، إلا أن حلفاءه الأوروبيين، وكانت لديهم قوات هناك، حالوا دون ذلك وشلّوا مبادرة الحلف العسكري الغربي. ولم يترتّب على إسقاط سريبرينيتسا والعجز عن حمايتها من الجوّ، إلا اقتناع الصرب بأن كل شيء ممكن، واقتناع البوسنيين المسلمين، في المقابل، بأنه لا حول ولا قوّة إلا بالله. حتى الصور الجويّة التي حملتها معها وزيرة الخارجية الأميركية عهد ذاك،

مادلين أولبرايت، بكثير من الانتصارية، إلى مجلس الأمن، عُرضت بعد أكثر من ثلاثة أسابيع على سقوط سريبرينيتسا، ما نمّ عن اصطباغ الكثير من العجز بالكثير من الهزل.

وربما زوّدنا العراق، في السياق هذا، بأنصع الأمثلة على ذاك التلازُم بين المجزرة وبين انهيار النظام الإقليمي-الدولي الحاضن للبلد، معطوفاً على صعوبات بناء دولة-أمة تجمع، تحت راية الدستور، ثلاث هويّات، عربيّة سنيّة وعربيّة شيعيّة وكرديّة. فالمعروف أن حرب بغداد البعثيّة على الأكراد، وكذلك بمعنى ما على الشيعة، بلغت ذروتها مع الحرب العراقيّة-الإيرانيّة (١٩٨٠-١٩٨٨)، لا سيما في سنواتها الأخيرة حيث تصاعدت الرغبة في حسمها لدى الطرفين المتحاربين فكانت مأساة حلبجة إحدى ثمار الرغبة المزدوجة.

وهنا، لا نحاول الخروج بمعادلة نظريّة تدّعي تفسير كل ما يقع تحت بصرها، إلا أن من الصعب الإغفال عن حقيقة أن نوازع اللادولة تظهر حين تتداعى الدول أو يتداعى نظامها، تماماً مثلما ينطق اللاوعي والأحلام حين يسترخي الوعي في أوقات النوم.

ولا بأس بالقول، هنا، إن الدولة حين تمارس الارتكاب من دون أن تكون، لحظتذاك، في حال من الانهيار المعلن، تكون حافظةً في ذاتها لكلّ العناصر المضادّة للدولة: صحيح أن الدولة النازيّة التي نفّذت المحرقة كانت، بالتعريف، دولةً بالغة الدولتيّة، بل المثال على التماسك السلطوي المصفّح، إلا أنها كانت بالدرجة نفسها دولة للعِرق، وبفعل نظريتها في القومية الجرمانية العابرة لحدود الدولة-الأمة الألمانية (pan Germanic)، شيّدت سلطة نافية للدولة بوصفها مؤسسة قانونية ودستورية على رقعة أرض محددة. وشهيرةٌ مقارنة هنه أرنت، عالمة السياسة الألمانية-الأميركية، بين إفضاء النازية إلى المحرقة وعدم إفضاء مسألة دريفوس، أواخر القرن التاسع عشر وأوائل العشرين، إلى ما يماثلها، حيث ردّت السبب إلى وجود الدولة-الأمة والإقرار بها في فرنسا، مقابل محاولة تجاوزها عِرقيّاً وإيديولوجيّاً في ألمانيا. وبصورة مخفّفة يمكن قول الشيء نفسه عن السلطنة العثمانية التي كانت، إبان ارتكابها المذبحة الأرمنية، تناضل لمنع تحوّلها من إمبراطورية إلى دولة-أمة، وكذلك عن الدولة اليوغوسلافيّة التي كانت بمثابة إمبراطورية مصغّرة لُحمتها درجة بعيدة من القسر الشيوعي مارسته حكومة الجنرال تيتو.

وبالمعنى هذا، نرى أن المرتكبين غالباً ما يعبّرون عن ذاك الاندماج بين مستوى إثني أو ديني سابق على الدولة، وبين مستوى إخضاعي وإمبراطوري يتجاوزها بوصف التجاوز توسيعاً لهيمنة المجموعة الإثنية أو الدينية تلك. لكن الدولة بمعناها الوطني والدستوري الذي يتحدد برقعة أرض بعينها لا يمكن أن تجد لها محلاً في مشروع كهذا. فمنذ اندلاع حرب البوسنة في نيسان ١٩٩٢، مثلاً، كان القتل العشوائي والاغتصاب والتعذيب جزءاً لا يتجزأ من عملية «تطهير إثني» محكوم باستراتيجية صربية مُوعاة ومخطط لها مسبقاً تقضي بـ«تنظيف» أجزاء واسعة من البلد من المسلمين كيما تقوم عليها «صربيا الكبرى». وقد كُتب لسريبرينيتسا بقتلاها الذين نافوا السبعة آلاف مسلم، أن تكون النُصب الأبرز على عملية التطهير السوداء تلك.

وقد تتلازم المجزرة مع تصغير الوطن والدولة تماماً مثلما تتلازم مع تكبيرهما. ففي صيف ١٩٩٣، مثلاً، أوحى رئيس الحكومة البوسني حارث سيلاديتش بأنه إذا ما قبل الصرب

بمقايضة ضواحي سراييفو التي يسيطرون عليها بالجيوب المسلمة المبعثرة. سيكون مستعداً أن يتوجه إلى سكان الجيوب تلك ويسألهم المغادرة. وفي كانون الثاني ١٩٩٥، وحسب رواية ريتشارد هولبروك، أخبره الرئيس البوسني علي عزت بيكوفيتش أنه من أجل الإبقاء على مدينة سراييفو موحّدة، ومن ضمن إطار تسوية أعرض، مستعد لإعطاء سريبرينيتسا وباقي الجيوب (enclaves) المشابهة للصربيين. وكان في هذا ما يكفي من تنصّل حيال من هم ليسوا «شعب» بيكوفيتش، على ما قال هو نفسه. وفي الوسع طبعاً اعتبار الموقف هذا، بين أوصاف كثيرة أخرى، مكافأة لجلادي التطهير العرقي وتعزيزاً لقضيّتهم.

أبعد من ذلك، لا يمكن تأويل تلك التقنيّة الهمجيّة من تقنيّات الارتكاب، والتي تروج في أوضاع كتلك، أي اغتصاب النساء، إلا بوصفها إصراراً على رفض العيش المشترك داخل جماعة وطنيّة واحدة. فالمغتصِب يزرع عدوانه في بطن المغتصَبة بقدر ما يزرعه في مستقبلها ومستقبل أجيالها. فهو، إذاً، يؤبّد ويخلّد انقساماً هو بمثابة مرآة تعكس هرميّة السيطرة والإخضاع الجذريين والجوهريين. وقد كانت الاغتصابات الجماعيّة في دارفور، مثلاً، بين أفعل الوسائل في إفهام الدارفوريين أن الحكومة التي تحكمهم خارجية مطلقة ونقيض مطلق يستحيل التشارك معها في وطن ومصير واحدين. وكانت التقنيّة المذكورة من أبرز الأسباب التي ضخّمت عدد النازحين عن قراهم ورفعته إلى مليونين، مُسديةً خدمة كبرى للاستراتيجيّة التوسعيّة للخرطوم ومقاتلي الجنجاويد. فالاغتصاب، والحال هذه، يجعل العلاقة داخل الوطن الافتراضي الواحد أشبه بالعلاقات بين جيش غازٍ وشعب غريب يتعرّض للغزو، على ما رأينا في دخول الجيش الروسي إلى ألمانيا مع انتهاء الحرب العالمية الثانية، أو في حروب شبه القارّة الهندية التي حوّلت شعباً افتراضيّاً واحداً حتى ١٩٤٧ إلى شعبين، ومنذ أوائل السبعينيات وقيام بنغلاديش، إلى شعوب ثلاثة.
فإذا صحّ ذاك الربط بين الدولة-الأمة/الوطن/الشعب وبين تجنّب الارتكاب، صحّ القول إن المساهمة الأهم في دعم حقوق الإنسان هي المساعدة على إقامة دول محدّدة بحدود.

أداركو بانديتش، ١٩٩٥

يسيّرها حكم القانون فيما تكون قابلةً للحياة وسط أنظمة إقليميّة مستقرّة.
ولا يلزمنا أن نعرف الكثير من التاريخ كي ندرك أن عدم التصالُح بين الدولة-الأمة القادمة من أوروبا إلى «العالم الثالث» وبين التكوينات الإثنية والدينية المتنافسة في البلدان التي غزتها القوى الأوروبيّة، هو ما يلازم الأكثرية الساحقة من الارتكابات، أصحّ فيها تعريف رافايل لمكين للمجزرة (genocide) أم لم يصحّ. فالمأساة التي تعرّض لها التوتسي، ربيع ١٩٩٤، مثلاً، لا تنفصل في جذورها عن انتفاضة الهوتو التي اندلعت في ١٩٥٩ ثم أفضت، في ١٩٦٣، إلى إطاحة أريستوقراطيّة التوتسي واستبدالها بعدد متعاقب من أنظمة أنشأها الهوتو. ويمكن لمن شاء التمعّن في التاريخ الأبعد، إرجاع تلك المحطة نفسها إلى محطات أسبق. فالتوتسي الرعاة الذين هاجروا، في القرن الخامس عشر، إلى تلك المنطقة، سبق أن أخضعوا لملكتهم جماعات الهوتو المزارعين، وهذا قبل أن يستولي الاستعمار البلجيكي، أحد أكثر الاستعمارات الأوروبيّة تخلّفاً وقسوةً، على البلد في ١٩١٩، ويباشر إرساء بناء سياسي جائر ومُختلّ. والشيء نفسه، مع اختلاف في التفاصيل، يمكن قوله عن نيجيريا أو الكونغو أو غيرهما من بلدان التنازُع الدمويّ الداخليّ الذي نفر من الصياغات الحديثة التي حملها العصر الكولونيالي واستعصى عليها.

وهو، بدوره، ما يطرح مشكلةً ليست قليلة التعقيد. ذاك أن طلب النجدة لإقامة الدولة يعني، ببساطة تشبه بساطة المنطق الشكليّ، إعادة الاعتبار لتلك الأداة التي حملها معه الاستعمار إلى «العالم الثالث»، بل رفع تلك الأداة إلى مصاف القدرة على توفير الإنقاذ المأمول. وبديهيٌّ أن إعادة النظر بالمحمول تستجرّ معها إعادة النظر بالحامل. فإذا مالت الحركات الأصولية والقومية المتطرفة، مثلاً، إلى رفض المحمول الثقافي الغربي لصدوره عن الحامل الاستعماري، كان على المتحمّسين لحقوق الإنسان أن يعيدوا النظر بالحامل تبعاً لإقرارهم بأهمية محموله.وكثيراً ما رأينا هذه المعضلة، في السنوات الأخيرة، وهي تستعرض نفسها على نحو صارخ في تناقضه ما بين الرغبة في التدخّل تمارسه دولة «استعمارية»، وبين التمسك بإيديولوجيا ما بعد الحرب العالمية الثانية في مناهضة الاستعمار!

واقع الحال أن مبدأ التدخّل لنصرة حقوق الإنسان ووقف الارتكابات كائنةً ما كانت هو، تعريفاً، مبدأ عابر للدول تمارسه دولة ما أو نظام دولي ما. أما الارتكاب، كما رأينا، فهو حالة هبوط إلى ما تحت الدولة، أو أنه تعليق، موقّت وربما دائم، للدولة. وفجوةٌ كتلك لا تؤدي فحسب إلى سوء الفهم بين نمطين في التنظيم الاجتماعي، وفي التبادل المفهومي بينهما، بل تنذر بما هو أخطر: ذاك أن تقديم العون للمختلف - ولنضع جانباً الصواب السياسي النبيل في تطبيقه على الأخوّة الإنسانية - قد تخالطه «شفقة» حياله لا تنتاب تقديم العون للشبيه حيث يبدو أقرب إلى أداء واجب أخلاقي يتجانس مع خدمة المصالح الذاتية للدولة المتدخّلة في لحظة اندماجها بمصالح المقهورين في الخارج.
ويتسع الفارق حين نقارن بلوغ الفرديّة في البلدان المطالَبة بالتدخل درجة متقدمة تكاد ترقى إلى تقديس كل فرد بذاته، بالجماعية - الإثني منها والديني - التي غالباً ما تحفّ بالنزاعات الأهلية وتقدّم موت الفرد في «العالم الثالث» كأنه لا شيء في سبيل قضية

جماعته. فنحن نذكر، مثلاً، كيف أن الحكومة الهولنديّة، أي حكومة البلد الذي ترادف تاريخياً أكثر من أي بلد آخر مع مبدأ التسامح، هي التي رفضت إنزال أية ضربة جويّة بالصرب أثناء الحرب على سريبرينيتسا قبل أن يغادر آخر واحد من جنودها البوسنة. ولأن الصرب عرفوا هذا، فقد أبقوا القوات الهولندية أشبه بالأسرى في مجمّع الأمم المتحدة في قرية بوتوتشاري المجاورة إلى أن أنهوا مهمتهم الدمويّة في سريبرينيتسا أواسط تموز ١٩٩٥. يُضاف إلى ذلك ما تطرحه إشكالية «الإنسان» نفسها: فإذا تجاوزنا المعنى البيولوجي للإنسان، حيث من البديهي أن نتفق جميعاً على رفض إنزال الألم والتعذيب والاضطهاد به، ورفض إنزال الموت والإبادة طبعاً، فإن المعنى هذا يبقى غير كافٍ لتوليد سياسات حقوق إنسان قابلة للتطبيق والديمومة. فعلينا، والحال هذه، أن نسترجع «الإنسان»، في معناه الفلسفي والتاريخي المستقى من فلسفة الأنوار والنزعة الإنسانية. فـ«الإنسان»، في الإطار هذا، هو بديل الله وبديل الطائفة والعشيرة والمذهب في قيادة التطوّر الإنساني. وكلما قام واحدنا بتوكيد هذا المعنى لـ«الإنسان»، كان يربط بين حقوقه وبين واجباته حيال نفسه وجواره، انطلاقاً من واجبه حيال تقدّمه هو ذاته. ومما يترتّب على ذلك أن إغفال البُعد المذكور يقدّم الحقوق من دون واجبات لكنه، فوق هذا، يحاول ردّ البشر إلى سويّة بيولوجيّة وعددية محضة عاجزة، بصفتها هذه، عن إقامة أنصبة سياسية واقتصادية أرقى من تلك التي تسببت بالهلاك السابق.

ومرةً أخرى، فإن دولة القانون هي ما يوفّر جسر العبور الأمتن من المعنى البسيط لـ«الإنسان» إلى المعنى الأعقد. فليس صدفةً، بالتالي، أن الدول التي ترتكب الأعمال المخلّة بحقوق الإنسان تكون، في لحظة ارتكابها، متخلّيةً عن طبيعتها كدول، إما بتصعيد ممارستها للاستبداد وخرقها القانون، أو باستخدام الميليشيات الموازية كقناع يسهل، من خلال ارتدائه، القيام بأعمال كتلك. فلأن الميليشيا أفعل من الدولة (مهما كانت الدولة سيئة) في تنفيذ الارتكاب، رأينا في دارفور، غرب السودان، كيف تولّت الأمرَ ميليشيا الجنجاويد العرب المدعومة من حكومة الخرطوم بقيادة موسى هلال. وهلال زعيم إحدى القبائل البدويّة العربيّة، عُرف عنه أنه عبّر، في ١٩٨٨، عن امتنانه للأسلحة والذخائر «الضروريّة» لاستئصال القبائل الدارفوريّة.

وفي ثناياها، تحمل ثنائية الجنجاويد وسلطة الخرطوم بعض المعاني الدالّة. ففي أواسط التسعينيات، ولم يكن تعبير «الجنجاويد» قد شاع، ارتكبوا، بحضّ وتواطؤ من حكام السودان، مذبحة قضى بنتيجتها ألفان من قبيلة المساليط. وفي ٢٠٠٠ و٢٠٠١، حدثت هجمات ضارية على القرى التي تسكنها قبائل الفور والزاغهاوا. وكان لارتكابات كهذه أن حملت الدارفوريين على تنظيم أنفسهم فشكّلوا حركة مسلّحة ضد حكومة الخرطوم الإسلاميّة وهاجموا، في حزيران ٢٠٠١، مقرّاً للشرطة. وبات يؤرّخ، في مطالع ٢٠٠٣، لانطلاقة تمرّدهم بإحراقهم ثكنات للجيش وتدميرهم طائرة حربيّة على أرض المطار العسكري. ورداً على ذلك، قررت حكومة الرئيس عمر البشير ابتداء حملة أرض محروقة تقضي على من أمكن القضاء عليهم من الدارفوريين. بيد أن أسباباً كثيرة حالت دون استخدام الجيش في الحملة هذه، أحدها وجود نسبة مرتفعة من أبناء دارفور في القوات

المسلحة، بحيث قررت الخرطوم اتباع استراتيجية أخرى عمادها الميليشيات غير النظاميّة. وهي لم تكتف بالمتوافرين من هؤلاء، فأطلقت سراح عدد من المساجين العرب، أغلبهم مجرمون، وضمّتهم إلى الجنجاويد.

وهناك، في دارفور، حلّ القتل المنهجي والاغتصاب وبتر الأعضاء على نطاق واسع، تبعاً لقبيلة الضحيّة. فتجمّعت العلامات ذات الدلالة الكافية على سلوك يصعب على الدولة، أية دولة، أن تقوم به بصفتها هذه. وحين كان صدّام حسين ينفّذ مجازره لم يكن يتمّ ذلك باسم وطنيّة عراقيّة ما يُرمز إليها بدولة العراق، بل باسم قومية عربية عابرة للبلد لكنها، في الوقت نفسه، لا تمانع في استخدام ميليشيا كردية أسماها الأكرادُ «الجحوشَ» لمساعدتها على تنفيذ مآربها.

وغني عن القول أن «ثقافة» المجزرة غير ثقافة الدولة الوطنية، كما أن تاريخها غير تاريخها كليّاً. فبدل التسويات والتركيب على صعيد ثقافي، تحلّ رمزيّة فئويّة وعدوانيّة تعبّر عن رقعة محدودة من أرض الوطن السابق، وعن مطامح أو مصالح فئة بعينها تتفاخر بحقبة من التاريخ متنازَع على تأويلها. فليس صدفة أن يلقي ملاديتش، إبّان معركة سريبرينيتسا صيف ١٩٩٥، خطاباً في عدد من الصربيين الذين كانوا يتهيّأون للاحتفال بعيد وطني صربيّ وشيك، فيستعيد «تمرد داهيجاس» قائلاً إن الوقت قد حان للثأر من الأتراك في المنطقة تلك. والمقصود بالتمرّد المذكور حركة صربيّة حصلت عام ١٨٠٤ ضد السلطنة العثمانية التي قمعتها بقسوة بالغة.

والراهن أن انقسام الدولة نفسها، على نحو كامل وصريح يطاول الرموز والإجماعات الوطنيّة أو يكاد، كما رأينا في الحرب الأهلية الأسبانية خلال ١٩٣٦-٣٩ أو في الحرب اللبنانية ابتداء من ١٩٧٥ وقبلها في الحرب الفيتنامية، هو الشرط اللازم للتخلّي الكامل عن كل زعم يتعلق بسياسة لحقوق الإنسان أو بالحاجة إلى ذلك. هكذا تتم من قبل الطرفين المتنازعين أدلجة كاملة للصراع تجعله مقبولاً، بل شرعيّاً. وهو نزاع لا يعتوره أي غطاء إنساني جامع ومتفق عليه، فيما تتدخّل الدول ذات المصالح، كل على هواها لدعم حلفائها المحليين فيه مع تبرير ذلك بلغة إيديولوجية بحتة.

وقصارى القول أن من العبث دائماً توهّم الخروج بنظريّة مغلقة مطلقة القدرة على التفسير وتقديم العلاجات، كما يستحيل غض النظر عن احتمال تورّط الدول التي تحظى بدرجة محترمة من مواصفات الوطنية والدستورية بالارتكابات. إلا أن القاعدة العامة تفيد أن نقص الدولة الوطنية الدستورية، في واقعها أو في وعيها الأيديولوجي لذاتها، هو السبب الأبرز للمصائب. ووعي كهذا يدفع إلى تركيز حقوق الإنسان على قاعدة أرفع وعياً بالسياسة وطاقتها التحويليّة للبشر، وأشد تركيزاً على واجبات هؤلاء البشر. ومن ثم تحويل هذين الوعي والتركيز إلى سياسة لحقوق الإنسان. ويُخشى، ما لم يؤخذ هذا الاستدراك الكبير بعين الاعتبار، أن يقتصر الردّ على الارتكابات، حين يكون ردّ، على عنف حسن النوايا في مقابل عنف شرير. لكن عنفاً كهذا، على ضرورته، لا يحل المشكلة ولا

يضمن عدم تكرارها إلا إذا أرفق بوعي أعرض من العنف. وهو، من دون هذا الوعي، لن يملك المناعة الكافية حيال العنف الذي قد يمارسه الضحيّة نفسه. وتدلّنا التجارب الكثيرة على أن الضحايا ليسوا معصومين عن الانسياق وراء إغراء كهذا. فالفلسطينيّون من لا يرقى الشكّ إلى مظلوميّتهم، ساهمت سياساتهم في إنتاج كوارث عادت عليهم وعلى الشعوب العربية المجاورة. أما الأكراد، وهم أيضاً أصحاب مظلوميّة لا تقبل النقاش، فآثروا مراراً ألّا يتعلّموا من جيرانهم العرب. وكم كان فاجعاً، في أواسط التسعينيات، أن يشتبك، على أوسع نطاق، كل من «الاتحاد الكردستاني الوطني» بقيادة جلال طالباني و«الحزب الديموقراطي الكردستاني» بقيادة مسعود بارزاني، وأن يطلب الأخير، حين لم تنجده الولايات المتحدة، من صدّام حسين نفسه النجدة على شركائه في المظلوميّة.

ولا بأس، ما دمنا استشهدنا قبلاً بهنه أرنت، أن نستشهد بها ثانيةً في تمييزها بين العنف وقوة السلطة (power). ذاك أن العنف في وسعه تدمير سلطة قديمة لكنه لا يستطيع أن ينشىء وضعاً جديداً يوفّر الشرعيّة لسلطة جديدة وبديل. ولذا فالعنف أفقر ركيزة ممكنة لتشييد سلطة عليها. أما في حال اعتماده، فإن النتيجة لا بدّ أن تتجسّد في تدمير كل سلطة شرعيّة.

ضياء غافيش ٢٠٠٢

معرض صور سريبرينيتسا في ٣٣ صورة

EXHIBITION SREBRENICA IN 33 PICTURES

من الخميس ٢٧ نيسان إلى للأحد ١٤ أيار ٢٠٠٦
يومياً بين الرابعة من بعد الظهر والتاسعة مساء
في الهنغار حارة حريك (قرب مسجد الإمام المهدي)
الافتتاح: السادسة من مساء الخميس ٢٧ نيسان ٢٠٠٦

27.04.06 through 14.05.06 @ The Hangar,
Haret Hreik (next to Al-Mahdi Mosque)
Daily from 4 pm - 9 pm
Opening Thursday 27.04.06 at 6 pm

يقترح هذا المعرض على زائريه وزائراته ٣٣ صورة بعدسات عشرة مصورين، خمسة منهم من أبناء يوغوسلافيا السابقة والخمسة الآخرون من جنسيات شتى. توثق الصور مشاهد من أيام سريبرينيتسا وناسها، الناجين منهم والضحايا.

كان تنظيم هذا المعرض لأول مرة في العاصمة البلجيكية بروكسيل في حزيران ٢٠٠٥. بعد العاصمة البلجيكية انتقل المعرض إلى بلغراد وبرلين وواشنطن وستراسبورغ (فرنسا) وسراييفو وقد واكبته في كل المراحل التي حل فيها نقاشات تاريخية سياسية في المسائل التي يفتحها استذكار سريبرينيتسا.

This international project is a collection of documentary photographs about the genocide in Srebrenica. The exhibition, which opened in Brussels in June 2005, has traveled to Belgrade, Berlin, Washington D.C., Strasbourg, and Sarajevo, and now to Beirut. Including the work of 5 Bosnian and 5 international photographers, the project documents the fate of the survivors, the search and identification of the victims, as well as the post-war fate of the scene of the crime.

المصورون

ادارکو باندیتش: مواليد زغرب ١٩٦٧. بين ١٩٩١ و٢٠٠١ عمل كمصور مستقل لحساب الأسوشيتد برس في كرواتيا وسلوفينيا.

جيل بيريس: مواليد فرنسا ١٩٤٦. بين ١٩٧٤ و١٩٨٧ عمل لحساب وكالة ماغنوم وترأسها طوال سنوات. حائز على عدد من الجوائز المرموقة.

ألمين زرنو: مواليد سراييفو ١٩٦٦. مصور مستقل. حائز على عدد من الجوائز المرموقة.

ضياء غافيتش: مواليد ١٩٨٠ سراييفو. نالت تحقيقاته المصورة عن المأساة البوسنية العديد من الجوائز المرموقة.

دانيلو كرستنوفيتش: مواليد سراييفو ١٩٥١. يعمل لحساب رويترز منذ العالم ١٩٨٦.

بول لووي: مواليد بريطانيا ١٩٥٢. يعمل (في التصوير والتعليم) ويعيش بين لندن وسراييفو. حائز على عدد من الجوائز المرموقة.

محمد موجكيتش: مواليد سراييفو ١٩٥١. عضو لجنة تقصي الحقائق وتوثيقها عن جرائم الحرب. في العام ١٩٩٦ انضم إلى لجنة التقصي عن المفقودين.

سيمون نورفولك: مواليد بريطانيا ١٩٥٣. حتى العام ١٩٩٤ عمل لحساب عدد من الصحف والمجلات. منذ العام ٢٠٠٢ يعمل على توثيق آثار العسكرة على عدد من الدول.

روجيه هونشكينز: مواليد بريطانيا ١٩٥٢. بين ١٩٩٢ و١٩٩٧ خصص معظم نشاطه المهني لتغطية الحرب في يوغوسلافيا السابقة.

أنشيف هودوفيتش: مواليد سراييفو ١٩٥٩ (توفي ٢٠٠٥). عمل مصوراً لحساب عدد من الصحف اليومية خلال عشرين عاماً قبل أن تتخذه لجنة تقصي الحقائق وتوثيقها عن جرائم الحرب أحد مصوريها الرسميين.

PHOTOGRAPHERS

Darko Bandić: born 1967 in Zagreb; 1991 - 2001 free-lance photographer; photographer for Associated Press in Croatia and Slovenia.

Zijah Gafić: born 1980 in Sarajevo; photo-documentation of war in BiH; winner of numerous international photo awards; photos published by Libération, Le Monde, New York Times Magazine.

Ačif Hodović: 1959 - 2005, Sarajevo; photographer for daily newspapers for more than 20 years; during the war, he worked as the photographer for the Commission for Documentation of War Crimes.

Roger Hutchings: born 1952 in the UK; 1992 - 1997 he documented the war in the territory of former Yugoslavia; winner of key press and art photo awards, agency Network Photographers, London.

Danilo Krstanović: born 1951 in Sarajevo; has been working for Reuters since 1996; photo-documenting the war in and around Sarajevo; two European photo exhibitions.

Paul Lowe: born 1963 in the UK; free-lance photographer and lecturer; winner of numerous awards; lives and works between Sarajevo and London; among others, his work has been published by Time, Newsweek, Life, Der Spiegel, The Observer; in 2005 he published a book titled Bosnians.

Muhamed Mujkić: born 1959 in Sarajevo; member of the Commission for Documentation of War Crimes; in 1996 he started following the process of exhumations and joined the Commission for Missing Persons.

Simon Norfolk: born 1963 in the UK; until 1994 he worked for left-wing newspapers and magazines; awarded for photo reports and books; since 2002 he has been working on documenting the consequences of militarization on countries.

Gilles Peress: born 1946 in France; 1974 - 1987 he worked for Magnum Photos and was its president for several years, winner of numerous awards; photo-projects: Farewell to Bosnia, Hate Thy Brother.

Almin Zrno: born 1966 in Sarajevo; free-lance photographer; has won several awards since 2002.

ندوة
سريبرينيتسا الجريمة والعقاب

ROUND TABLE
SREBRENICA Crime & Punishment

السبت ٢٩ نيسان ٢٠٠٤ في الهنغار
حارة حريك (قرب مسجد الإمام المهدي)
من الثالثة عصراً إلى السادسة والنصف مساء
ترجمة فورية من العربية والفرنسية والإنكليزية وإليها

Saturday 29.04.2006 @ The Hangar,
Haret Hreik (next to Al-Mahdi Mosque)
From 3 pm - 6.30 pm
Simultaneous translation provided in Arabic, French, and English

---

تمام الثالثة **الترحيب بالحضور**

15.00 **WELCOME**
(Monika Borgmann, Kirsten Maas, Lokman Slim)

الثالثة والربع **افتتاح الندوة**
بمداخلة يقدمها ضياء غافيتش
تحت عنوان قصص من وادي الظلمات

15.15 **OPENING LECTURE**
"TALES FROM THE DARK VALLEY" by Zijah Gafić

الثالثة والنصف حتى الخامسة
الحلقة الأولى من الندوة
تحت عنوان جرائم الإبادة والجرائم ضد الإنسانية

15.30 - 17.00 **FIRST PANEL**
GENOCIDE AND CRIMES AGAINST HUMANITY

• أمين مكي مدني:
المحاسبة على جرائم الإبادة في الإطارين المحلي والدولي

• Speaker: Amin Maki Madani
Title of intervention:
"Genocide in the Context of National and International Judicial Accountability"

• حازم صاغية:
المثقف بين يدي المجازر

• Speaker: Hazem Saghieh
Title of intervention:
"Genocide and the Intellectual"

تقدم المداخلتين وتدير النقاش الذي يليهما كيرستن ماس

Followed by a discussion moderated by Kirsten Maas

الخامسة حتى السادسة والنصف
الحلقة الثانية من الندوة
تحت عنوان في الحقيقة والعدالة

17.00 - 18.30 **SECOND PANEL**
TRUTH AND JUSTICE

• مرصاد توكاشا:
محل الوقائع من سياقات الجهر بالحقيقة والمصالحة

• Speaker: Mirsad Tokača
Title of intervention:
"Truth Telling and the Reconciliation Process: The Role of Facts"

• نزار صاغية:
الجرائم ضد الإنسانية في دولة هيبة: لبنان نموذجاً

• Speaker: Nizar Saghieh
Title of intervention:
"Crimes Against Humanity in a Charismatic State"

يقدم المداخلتين ويدير النقاش الذي يليهما لقمان سليم

Followed by a discussion moderated by Lokman Slim

BIOGRAPHIES:

Zijah Gafić: A photographer, in 2001 his reportage about the Last Bosnian Village won the Ian Parry -The Sunday Times Magazine scholarship and second prize at the World Press Photo contest. In 2002, his reportages on war crimes in Bosnia and return of refugees won two prizes (first and second) at the World Press Photo contest. In 2003, he was elected as one of the 30 emerging photographers by Photo District News magazine. He was also awarded with the annual prize of the City of Prague. He is regularly featured in several international magazines. His main topic of interest is societies in conflict/transition, from Bosnia to Rwanda, from the Caucuses to Iraq.

Amin Maki Madani: Lawyer, law professor, human rights activist, and former minister, Madani is currently the chairman of The Arab Human Rights Organization and was formerly the Representative of the UN High Commissioner for Human Rights in the Arab States. Madani has worked with the UN in human rights in Gaza, Afghanistan, Croatia, and Iraq. Madani currently practices law in Sudan.

Hazem Saghieh: Journalist for the Arabic daily As-Safir (1974-1988) and Al-Hayat (1988-Present). Saghieh has published several books about Lebanon and Arab political culture.

Nizar Saghieh: A lawyer, Saghieh has written several studies concerning amnesty and transitional justice in Lebanon, among them: "The Memory of War in the Lebanese Judicial System", in Zakira lil-Ghad, Dar an-Nahar, 2001, "The Amnesty Law as Foundation of the Charismatic State, an-Nahar, 2000, "The Law Enshrines the Right to Know", as-Safir, 2003, "Transitional Justice Through Three Turning Points, presented at the conference "Dealing with the Past in Lebanon: Various Approaches to Transitional Justice."

Mirsad Tokača: Founder and President of the Research and Documentation Center in Sarajevo, Tokača was formerly the General Secretary of The State Commission for Gathering Facts on War Crimes (1992 - 2003) responsible for implementation of governments tasks in regards to war crimes.

المنتدون

مرصاد توكاشا (سراييفو): مؤسس ورئيس مركز سراييفو للأبحاث والتوثيق. بين ١٩٩٢ و٢٠٠٣ شغل توكاشا منصب أمين عام لجنة تقصي الحقائق عن جرائم الحرب.

حازم صاغية (لبنان): صحافي. بدأ حياته المهنية في السفير اللبنانية (١٩٧٤ ــ ١٩٨٨) قبل أن ينتقل إلى الحياة. له العديد من المؤلفات عن لبنان والثقافة السياسية في العالم العربي. منها:

- مأزق الفرد في الشرق الأوسط. ٢٠٠٥
- بعث العراق ــ سلطة صدام قياماً وحطاماً. ٢٠٠٣
- قوميو المشرق العربي من درايفوس إلى غارودي. ٢٠٠٠
- دفاعاً عن السلام. ١٩٩٧

نزار صاغية (لبنان): محام.
له العديد من الأبحاث في المسائل ذات الصلة بالعفو والعدالة الانتقاليّة في لبنان من أبرزها «ذاكرة الحرب في النظام القانونيّ اللبنانيّ» (في: ذاكرة للغد. دار النهار. ٢٠٠١) و«قانون العفو يؤسّس دولة الهيبة» (النهار. ١ كانون الأول ٢٠٠٠) و«القضاء يكرّس حق المعرفة» السفير. (١٧نيسان ٢٠٠٣) و«العدالة الانتقالية في لبنان في منعطفات ثلاثة». قدم في مؤتمر «العدالة الانتقاليّة» (بيروت. كانون الأول ٢٠٠٥).

ضياء غافيتش: من مواليد سراييفو. ١٩٨٠. مصور فوتوغرافي. نالت تحقيقاته المصورة عن المأساة البوسنية العديد من الجوائز المرموقة. في العام ٢٠٠٣ أدرجته مجلة Photo District News magazine في عداد لائحة ثلاثين مصوراً واعداً. تنشر صوره في العديد من المجلات العالمية. مدار اهتمامه على المجتمعات والبلدان المتنازعة من البوسنة إلى رواندا ومن القوقاز إلى العراق.

أمين مكي مدني (السودان): محام. أستاذ في القانون. وزير سابق. ناشط في مجال حقوق الإنسان. أمين عام المنظمة العربية لحقوق الإنسان. الممثل السابق لـ مفوض الأمم المتحدة السامي لحقوق الإنسان في الدول العربية فضلاً عن نشاطه في إطار الأمم المتحدة في غزة وأفغانستان وكرواتيا والعراق.

صـرخـة من القبـر وثائقي

DOCUMENTARY CRY FROM THE GRAVE

وثائقي بتوقيع ليسلي وودهيد
١٩٩٩، ١٠٤ دقائق، مترجم إلى الإنكليزية

الجمعة ١٢ أيار ٢٠٠٦ تمام الثامنة في الهنغار
حارة حريك (قرب مسجد الإمام المهدي)

على مشهد صالحة عثمانوفيتش، إحدى ناجيات مجزرة سريبرينيتسا، ينفتح صرخة من القبر، رواية ليسلي وودهيد، بالصوت والصورة والتفاصيل، للمقتلة التي شهدتها سريبرينيتسا في تموز من العام ١٩٩٥. وإذ نجت صالحة من المقتلة فليس من شأن نجاتها أن تعيد عقارب الساعة إلى الوراء: فخلال فرارها صحبة زوجها وابنها أمام تقدم قوات صرب البوسنة يعتقل الاثنان على أيدي هؤلاء وحتى الساعة ما تزال صالحة تبحث عنهما مؤملة، رغم تلاشي الآمال، أنهما ما يزالان على قيد الحياة. بناء على شهادات لناجين وأخرى لمحققين تابعين للمحكمة الدولية التي تنظر في الجرائم المرتكبة في يوغوسلافيا السابقة، وثالثة لمسؤولين سياسيين وعسكريين، يرسم صرخة من القبر ما يشبه أن يكون جدارية عن مقتلة سريبرينيتسا مقترحاً بعض الإجابات وكثيراً من الأسئلة.

A documentary by Leslie Woodhead
1999, 104 mins, English subtitles

Friday, 12.05.06, 8 pm @ The Hangar,
Haret Hreik (next to Al-Mahdi Mosque)

A Cry From the Grave opens with the story of survivor Saliha Osmanovic. Saliha parted ways with her husband and son when they fled into the woods to escape from the Bosnian Serbs. Her husband and son were then captured by the Bosnian Serb military. Against all odds that they will be found alive, Saliha continues to search for them.

Through the testimony of survivors and relatives of those who died, investigators from the UN-sponsored court at The Hague, the UN special prosecutor as well as other witnesses and officials, this documentary is a chilling portrayal of the events surrounding the July 1995 nightmare that engulfed Srebrenica. Many sequences were recorded on camcorders by the people who were there, including Serb and Muslim soldiers, civilians, and peacekeepers.

A Cry from the Grave has won numerous prizes. It has been shown at the UN, and it was used during a war crimes trial at The Hague. While trying to answer some pending questions, A Cry From the Grave raises many more.